الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العـــالي والبحـــث العلمـــي
جـــــــامعة زيـــان عـــاشـــور بالجلفـــــة
كلية الآداب واللغات والفنون

مطبوعة دروس خاصة بمقياس :

اللسانيات العربية

دروس موجهة إلى طلبة السنة الثالثة لسانيات عامة

السداسي: الخامس

إعداد الأستاذ : بايزيد جاب الله

السنة الجامعة 2020/ 2021

ماهية اللسانيات العربية:

توطئة:

تتنزل قراءة التراث اللغوي العربي في ضوء اللسانيات الحديثة منزلة ذات بعد حضاري تقوم على أساس استرداد هذا التراث لبريقه بحمله على المنظور الجديد في محاولة جادة لتأسيس الحاضر والمستقبل على أصول الماضي وتأصيل البحث اللساني المعاصر في الظاهرة اللغوية العربية أو بعبارة أخرى البحث في أصول الفكر العربي. وبهذا المعنى وحده يبرز الاهتمام بالتراث، وبه يصبح التراث معاصرا لنا[1]

تعريف اللسانيات العربية: اللسانيات العربية تستهدف دراسة الفكر اللغوي العربي القديم من حيث إنه تصورات ومفاهيم وطرق تحليل في ضوء النظريات اللسانية الحديثة[2] وقد ظهرت عناوين ودراسات حديثة متأثرة بمناهج الدراسات اللسانية تدل بوضوح على وجهة نظر أصحابها وتصورهم لطبيعة العمل اللساني. وسنحاول الإشارة إلى أهم هذه الدراسات العربية في إطار علوم اللسانيات العربية:

محمد أبو الفرج: المعاجم العربية في ضوء دراسات علم اللغة. دار النهضة بيروت 1966

---

1 – حافظ إسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة. دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت ط1 2009 ص131.

2 – مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة. جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية سلسلة رسائل وأطروحات رقم 04، 1998 ص 135.

تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة 1973.

أحمد المتوكل: نحو قراءة جديدة لنظرية النظم عند الجرجاني. مجلة كلية الآداب عدد 1973/1.

عبده الراجحي: النحو العربي والدرس اللساني الحديث، بحث في المنهج. دار النهضة العربية بيروت 1979.

نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء وجهة النظر الحديثة. بيروت 1980.

جعفر دك الباب: نظرية الإمام الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة الحديث. دار الجيل دمشق 1980.

عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية. الدار العربية للكتاب تونس 1981.

أحمد المتوكل: اقتراحات من الفكر اللغوي العربي لوصف ظاهرة الاستلزام اتخاطبي ، البحث اللساني والسيميائي (وقائع ندوة) منشورات كلية الآداب الرباط 1984.

محمد عبد المطلب: النحو بين عبد القاهر وتشومسكي. مجلة فصول مجلد 05 عدد01 القاهرة 1985.

اللسانيات العربية المسوغات القرائية:

تسوغ التقريب والمماثلة بين مبادئ التراث اللغوي العربي ومبادئ اللسانيات في نظر لسانيي التراث مجموعة من المعطيات يمكن أن نجملها فيما يلي:

أولا: السبق التاريخي والحضاري للعرب في مجال الدراسات اللغوية:

إن الحضارة العربية حضارة لغة وبيان، ولذلك اتسمت قبل كل شيء بالمقوم اللفظي حتى كاد تاريخ العربي يتطابق وتاريخ اللفظ في أمته، ولم تكن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم إلا من جنس حضارتهم في خصوصيتها النوعية، وهذا ما استقر لدى المفكرين منهم منذ مطلع نهضتهم[3] لأجل ذلك اهتدى اللغويون العرب إلى أدق التفاصيل في اللسانيات. إذ الناظر في مسيرة البحث اللغوي عموما يجد نفسه أمام شريط ممتد يحوي سلسلة من المشاهد يكاد يشده فيها المشهد الأخير، فيحاول استعادته في حركة بطيئة يتكشف خلالها أن هذا المشهد ما هو إلا تكثيف لما سبقه من مشاهد، وتبلور لما سبقه من جهود وكأنما الأمر فيه أصبح بمثابة قضية منطقية لها مقدماتها التي تتبعها بالنتيجة مترتبة عليها[4]

واستنادا إلى هذا السبق التاريخي والحضاري يقيم عبد السلام المسدي مقارنة بين التراث اللغوي العربي واللسانيات ، إذ يلاحظ أن العرب بحكم مميزات حضارتهم

1 – عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية. الدار العربية للكتاب تونس 1981 ص 24.

2 – محمد عبد المطلب: النحو بين عبد القاهر وتشومسكي. مجلة فصول المجلد 05 العدد 01 ديسمبر 1984 ص 25.

وبحكم اندراج نصهم الديني في صلب هذه المميزات قد أفضى بهم النظر لا إلى درس شمولي كوني للغة فحسب، بل قادهم النظر إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه البشرية إلا مؤخرا بفضل ازدهار علوم اللسان في مطلع القرن العشرين[5]

ثانيا: الدين الإسلامي وتأثيره في توجيه اللغويين:

كان لهذا العامل بالغ الأثر في توجيه اللغويين العرب، فقد اهتدوا إلى أدق تفاصيل اللسانيات، إذ يؤكد أحد الباحثين على أن اللغويين العرب وهم يرسمون قواعد لغتهم ويصنعون قوانينها من خلال العمل اللغوي الجاد الذي قام به فحول علمائهم لخدمة كتاب علم الله تعالى وقد استطاعوا بدأبهم على البحث والدرس أن يقيموا الدعائم الوطيدة لعلم اللغة[6]

ثالثا: عامل الأصول التراثية للسانيات:

تستمد علوم اللسان التراثية مشروعية القراءة من اللسانيات نفسها، إذ لم يكن في مقدور اللسانيات أن تبلغ ما بلغته من درجات التقدم لو لم تعتمد منطلقات تراثية . فقد جاء كتاب الألسنية الديكارتية ليكون مثالا حيا على اهتمام العلماء اللغويين المحدثين بضرورة العودة إلى التراث اللغوي من أجل إظهار مواضع التقارب بين بعض جوانبه المهملة وبين المفاهيم اللغوية الحديثة.

1- عبد السلام المسدي: المرجع السابق ص26.

2 – عبد الغفار حامد هلال: علم اللغة بين القديم والحديث. ط3 1409ه . ص 35.

لقد استطاع تشومسكي في هذا الكتاب أن يقف على عديد من العناصر التي تمثل التقاء واتفاقا بين معطيات نظريته التوليدية التحويلية وبين القواعد التي أرساها ديكارت فيما يعرف باسم قواعد بورت رويال[7] ولم يكن اهتمام الغربيين منحصرا في تراثهم فحسب بل شمل أيضا التراث اللغوي الإنساني بما فيه التراث اللغوي العربي. فالعديد من العلماء الغربيين قد أولوا تراثنا العربي اهتمام واعتبارا، وجاءت جل أعمالهم من العمق والتحليل والدراسة بالقدر الذي يجعلنا نؤكد أنهم استطاعوا الإجابة عن كثير من القضايا والمشاكل اللغوية في لغتنا العربية، مكنهم من الوصول إلى هذه الإجابات إحاطتهم الواسعة باللغات السامية الأخرى ومن ثم جاءت دراساتهم في الربط بين التراث اللغوي العربي القديم ونظريات البحث اللغوي الحديث، فقد جاءت هذه الدراسات على نحو من الدقة[8]

ويمكننا أن نقول بما لا يخالط حديثنا أدنى شك أن بحوث العرب الأساس الذي بنى عليه الغربيون مستحدثاتهم في مختلف الدراسات اللغوية وهي – إن نسبت إلى علماء الغرب في مظهرها الحالي – فإن الناظر في جوهرها يلمح فيها الأصل العربي الذي نمت وتضرعت من جذوره والفضل كما يقولون لمن بدأ الطريق الشاق[9]

---

3 – حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث. مطبعة الثقافة الدينية القاهرة 1414ه. ص2.

1 – حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث ص2.

2 – عبد الغفار حامد هلال: علم اللغة بين القديم والحديث ص31.

إن الرجوع إلى تراثنا اللغوي يكشف بما لا يدع مجالا للشك في نظر لسانيي التراث أن كتب فقه اللغة العربي من تراثنا اللغوي حقا تبعث على الإعجاب والإكبار إن يظهر في شيء غير قليل من قضاياها سبق بعض العلماء القدامى لأحدث النظريات اللغوية في العصر الحديث بألف عام أو يزيد... ففي هذه الكتب وغيرها علم كثير ونظريات لغوية تقف شامخة أمام بعض ما وصل إليه العلماء في عصر التكنولوجيا الحديثة والعقول الإلكترونية [10]

إن القراءة التي تقدمها علوم اللسانيات التراثية لا تخرج عن الرغبة في مواكبة مقتضيات الحداثة، وبذلك فهي موقف حضاري.

مدخل نظري: تحديد المصطلحات اللغوية التراثية:

يتردد في التراث اللغوي العربي عدد من المصطلحات للدلالة على دراسة اللغة العربية أو بعض جوانبها دراسة علمية منظمة، وهذه المصطلحات هي: 1- العربية أو علم العربية. 2- النحو. 3- اللغة أو علم اللغة. 4- علم اللسان.

أولا: مصطلح العربية أو علم العربية:

يعد أقدم هذه المصطلحات ظهورا. ولعل كتاب سيبويه المتوفي سنة 180هـ من أقدم الكتب التي استخدمت هذا المصطلح، فقد جاء في أول كتابه – وهو كما نعلم أول كتاب في دراسة اللغة العربية وتحليلها وصل إلينا- حيث جاء فيه قوله: هذا باب علم ما الكلم

3 – رمضان عبد التواب: التراث العربي ومناهج المحدثين. مطبعة الخانجي القاهرة 1983. ص101.

من العربية[11] وكتاب سيبويه لا يحتوي على القواعد النحوية فحسب، وإنما يحتوي بالإضافة إلى ذلك على دراسات في الأصوات والصرف والدلالة. أي أن مصطلح العربية عند سيبويه يشمل دراسة هذه الجوانب جميعا. غير أن بعض الرواة والمؤرخين من أصحاب كتب طبقات اللغويين والنحاة يشيرون أحيانا بمصطلح العربية أو علم العربية إلى عمل أبي الأسود الدؤلي المتوفي سنة 69هـ كما يشيرون أيضا بهما إلى إلى تقدم البصرة وسبقها على باقي الأمصار العربية والإسلامية في وضع قواعد اللغة العربية فابن سلام الجمحي المتوفي سنة 232هـ يقول عن أبي الأسود الدؤلي: كان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي[12]

وعمل أبي الأسود الدؤلي لم يتجاوز وضع الحركات الإعرابية عن طريق الملاحظة المباشرة لحركة الفم عند النطق كل من الفتحة والضمة والكسرة وعبر عن هذه الملاحظات كتابة بوضع نقط على أواخر الكلمات في القرآن الكريم[13] كما يشير أيضا ابن سلام بمصطلح العربية إلى سبق البصرة إلى وضع قواعد اللغة العربية فيقول: وكان لأهل البصرة في العربية قدمة وبالنحو ولغات العرب عناية[14] ويستخدم ابن النديم المتوفى سنة 385هـ مصطلح علم العربية ليشير أيضا إلى سبق البصرة فيقول: وإنما

---

1 – سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب. تح: عبد السلام محمد هارون. دار الجيل بيروت ط 1970. ج 01 ص 12.

2– ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء. تح: محمود محمد شاكر. دار المعارف القاهرة ط 1952. ص12.

3 – حلمي خليل: مقدمة لدراسة اللغة دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1997 ص 25.

4 – ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء ص14.

قدمنا البصريين أولا....[15] ومن الصعب أن نحدد بدقة متى ظهر هذا المصطلح، أعني مصطلح العربية ولكن الذي لا شك فيه أنه كان سابقا في الظهور على مصطلح علم العربية. وأغلب الظن أن مصطلح العربية ظهر مع ما ظهر من مصطلحات لغوية في النصف الثاني من القرن الأول الهجري للدلالة على عمل أبي الأسود الدؤلي وطبقته من قراء القرآن الكريم الذين اشتغلوا بدرس اللغة العربية وتحليل بعض جوانبها. ثم استقر هذا المصطلح مع ظهور طبقة من علماء العربية مثل عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي المتوفى سنة 117هـ وعيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة 149هـ وأبي عمرو بن العلاء المتوفى سنة 154هـ ويونس بن حبيب المتوفى سنة 189هـ وذلك للدلالة على لون من الدراسة العلمية المنظمة للغة العربية. وأقول الدراسة العلمية لأن العمل الذي قام به هؤلاء العلماء وبلغ قمة النضج على يد الخليل وتلميذه سيبويه كما يظهر من كتابه يعد عملا علميا لأنه يقوم على مادة لغوية وتحليل واستقراء لهذه المادة بالإضافة إلى وضع مصطلحات ومفاهيم في التحليل اللغوي في إطار من أصول ومبادئ نظرية واضحة. كما اتسمت هذه الدراسة بالشمول، أي دراسة اللغة العربية صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا. وكأن مصطلح العربية يدل على هذه النظرة الشاملة لدرس العربية وتحليلها. ويؤكد ذلك ويعززه إضافة كلمة علم بعد ذلك لهذا المصطلح فأصبح علم العربية. والعلم يدل على هذه النظرة الشاملة القائمة على أصول ومبادئ نظرية

5 – ابن النديم: الفهرست. دار المعرفة بيروت دط دت ص 96.

وتحليلية. وأغلب الظن أن مصطلح علم العربية ظهر بعد ذلك في القرن الثاني لكي يدل بجوار مصطلح العربية على هذه الدراسة المنظمة للغة العربية. غير أننا ينبغي أن نلاحظ أن علماء العربية القدماء لم يدرسوا اللغة العربية وفق الترتيب الذي أشرت إليه أعني صوتيا وصرفيا نحويا ودلاليا[16] ويبدو ذلك واضحا في كتاب سيبويه الذي وضع الدراسة الصوتية في مقدمة الدراسة الصرفية وأخرهما إلى نهاية الكتاب وقدم الدراسة النحوية عليهما وبث الجوانب الدلالية في ثنايا الدرس النحوي والصرفي. ولكن ذلك لا يقلل من عملية الدراسة التي قام بها وإن اختلف المنهج والتحليل عن النظرية اللغوية الحديثة والمعاصرة[17]

ثانيا: مصطلح النحو:

الملاحظ أن سيبويه في كتابه لم يستعمل مصطلح النحو وإنما استخدم كلم " النحويون"في الدلالة على طائفة من الناس يشتغلون بالإعراب والنحو خاصة، دون مستويات اللغة العربية الأخرى، يقول في باب من أبواب كتابه :" هذا باب منه استكرهه النحويون وهو قبيح فوضعوا الكلام فيه على غير ما وضعت العرب"[18] ثم يقول بعد ذلك:"ولا يختلف النحويون في نصب التب إذا قلت ويح له وتبا له"[19] أما مصطلح النحو فلا نجد له ذكرا إلا في كتب طبقات النحويين واللغويين حيث يروي المؤرخون روايات عدة عن ظهور

---

1 – حلمي خليل: مقدمة لدراسة اللغة ص26.

2 – ينظر سيبويه: الكتاب ج1، ج2، ج3، ج4، ج5.

1 – سيبويه: الكتاب ج334/1.

2– سيبويه: الكتاب ج389/1.

هذا المصطلح فقالوا إن أول من استخدم هذا المصطلح علي بن أبي طالب رضي الله عنه حينما وضع بعض المصطلحات أو الأبواب النحوية مثل الاسم والفعل والحرف وعلمها لأبي الأسود الدؤلي ثم قال له أنح هذا النحو ومن ثم استخدم هذا المصطلح للدلالة على هذا اللون من الدراسة. في حين تنسب روايات أخرى هذا القول لأبي الأسود الدؤلي عندما وضع بعض وجوه العربية وقال لبعض تلاميذه أنح هذا النحو.

وهذه الروايات قد لا تكون صحيحة، ولكنها من ناحية أخرى تبين لنا كيف كان علماء العربية القدماء يضعون المصطلحات العلمية عامة والمصطلحات اللغوية خاصة. فمصطلح النحو مأخوذ لا شك من الفعل نحا ينحو بمعنى القصد أو الطريق ويعني هذا أن النحو كان يدل على الجانب التعليمي من علوم العربية أو من العربية. يدل على هذا أن سيبويه عندما كان يشير إلى النحويين كان كأنما يشير إلى طائفة من الناس ليس هو منهم، بل كثيرا ما كان يستعمل كلمة " الناس" في الدلالة على هؤلاء النحويين[20] وأغلب الظن أن مصطلح النحو ظهر بعد مصطلح العربية أو علم العربية، وذلك عندما ظهرت فئة أو طبقة من المعلمين الذين أخذوا يعلمون الناس قواعد العربية لكي تستقيم ألسنتهم بعد تفشي اللحن فيهم ومن ثم كان سيبويه يرى عمله وعمل أساتذته من علماء العربية أمرا يختلف عن عمل هؤلاء النحويين أو المعلمين. وكل هذا يدل على أن مصطلح النحو عندما ظهر كان يشير إلى القواعد التعليمية التي يتعلمها الناس لكي يلحقوا بالعرب

3 – انظر: سيبويه الكتاب ج1/9 ج2/11، 19، 21، 50.

الخلص في إجادتهم للغة العربية كما تدل كلمة النحويين على هذه الطبقة من الناس التي أخذت تشتغل بتعليم النحو، أي القواعد التعليمية، وهو يختلف عن العربية أو علم العربية الذي كان يشير إلى الدراسة العلمية للغة العربية[21] غير أن هذا المصطلح أعني مصطلح النحو ما لبث أن اكتسب دلالة عامة ربما في القرنين الثاني والثالث بحيث أخذ يدل على ما كان يدل عليه مصطلح العربية أو علم العربية، أي أصبح يدل على الدراسة العلمية من حيث استقراء القواعد والتحليل وفق أصول نظرية، بالإضافة إلى تعليم قواعد اللغة. أي أصبح يدل على الدراسة العلمية وتعليم القواعد في آن واحد.

ثالثا: اللغة أو علم اللغة:

يتصل هذا المصطلح أكر ما يتصل بجمع المادة اللغوية المتمثلة في المفردات والتراكيب عن العرب الخلص أصحاب السليقة العربية أو كما يقول علماء اللغة الآن أبناء اللغة. يدل على ذلك ما رواه السيوطي في الفرق بين عمل اللغوي وعمل النحوي بالمعنى الذي استقر عليه مصطلح النحو في القرنين الثاني والثالث، يقول:" اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه، أما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه "[22]

1 – حلمي خليل: مقدمة لدراسة اللغة ص27.

2 – السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها.تح: جاد المولى بالاشتراك. دار إحياء الكتب العربية القاهرة. ج09/01.

والواقع أن عمل اللغوي لم يكن مقصورا على رواية اللغة فحسب، وإنما مع تطور علوم اللغة العربية أخذ هؤلاء الرواة للغة يشتغلون بتأليف بعض الرسائل اللغوية الصغيرة التي تروي المفردات بطريقة منظمة. فوضعوا رسائل في البئر والإبل وخلق الإنسان غيرها. وتضم هذه الرسائل الكلمات الدالة على موضوع واحد غالبا ما يكون هو عنوان الرسالة. وكانت هذه الرسائل هي النواة الأولى للمعاجم العربية التي أخذت صورة أكثر تنظيما وعلمية على يد الخليل بن أحمد عندما وضع أول معجم في اللغة العربية وهو معجم العين. ومعنى هذا أن مصطلح اللغة كان يدل بالإضافة إلى رواية المفردات والتراكيب على تأليف الرسائل اللغوية وعمل المعاجم[23] وهنا ينبغي أن نلاحظ أن اللغويين كانوا يعتمدون في جمعهم لهذه المادة اللغوية على السماع من العرب الخلص. أي على اللغة المنطوقة كما يقول علماء اللسانيات الآن، مما يؤكد أصالة مبدأ الدراسة الصوتية عند العرب وسبقها على اللغة المكتوبة. وهو عكس ما سار فيه تطور الفكر اللغوي الغربي الذي بدأ بالنصوص المكتوبة لينتهي إلى اللغة المنطوقة أو المسموعة.

كما ينبغي أن نلاحظ أيضا أن جمع اللغة وروايتها سماعا ثم تحليل هذه المادة اللغوية واستنباط القواعد منها أو كما أشار السيوطي التصرف في المادة اللغوية، كان يتحقق أحيانا في عالم واحد يقوم بالعملين معا. وهكذا كان معظم علماء العربية القدماء مثل الخليل الذي يمثل ذلك أصدق تمثيل، فهو لغوي ونحوي في آن واحد. ولعل علماء

3 – ينظر حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره. مكتبة مصر ط2 1968 ص 25.

العربية القدماء عندما استخدموا مصطلح العربية أو علم العربية فيما أشرنا إليه من قبل كانوا يقصدون إلى شيء من هذا الامتزاج والتداخل، إذ غالبا ما كان هؤلاء العلماء رواة للغة يسمعونها من أبناء العربية الخلص في البوادي، ثم يقومون بعد ذلك بتحليل هذه المادة اللغوية المسموعة ويستنبطون منها القواعد والقوانين[24]

غير أن هذا التداخل والامتزاج بين عمل اللغوي وعمل النحوي ما لبث أن انفصل بما يشبه التخصص أو قريبا منه، فاشتغل بعض العلماء بجمع اللغة وروايتها واشتهروا بذلك. في حين اشتغل بعضهم بالدرس والتحليل واستنباط القواعد على نحو ما أشار السيوطي. ويدل هذا أيضا على أن أصحاب كتب طبقات النحويين واللغويين كانوا يفرقون بصورة واضحة في ترجمتهم لعلماء العربية القدماء بين من يشتغل بالنحو وحده، ومن يشتغل بجمع اللغة وروايتها فحسب، ومن يجمع بين الأمرين[25]

معنى هذا أن مصطلح اللغة كان يدل على نوع من الدراسة المنظمة وبخاصة فيما يتصل بعمل المعاجم وتأليف الرسائل اللغوية، وبصورة عامة كان يدل على دراسة المفردات ومعرفة الدلالات وتنظيم ذلك في صورة كتب أو معاجم. وهو بهذا المعنى يختلف عن مصطلح العربية أو علم العربية. كما يختلف أيضا عن مصطلح النحو بالمعنى الضيق، أي بمعنى تعليم القواعد أو حتى بالمعنى الواسع الشامل الذي يدل على

---

1 – حلمي خليل: مقدمة لدراسة اللغة ص29.

2 – انظر الزبيدي أبو بكر: طبقات النحويين واللغويين.محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف القاهرة 1973. حيث يفرق في ترجمته لعلماء العربية القدماء بصورة واضحة بين النحاة واللغويين.

تعليم القواعد والدراسة العلمية للغة. غير أن بعض العلماء ومصنفي العلوم في القرون المتأخرة كانوا يستعملون مصطلحا آخر للدلالة على ما كان علماء العربية القدماء يستخدمون فيه مصطلح اللغة. وهذا المصطلح الجديد هو علم اللغة. ولا نجد كتابا في التراث العربي يحمل عنوان علم اللغة.

ويشير السيوطي إلى علم اللغات، ويقصد به البحث في أصل اللغات ونشأتها وهل هي توقيف أم اصطلاح[26] ويحدد طاش كبري زادة مفهوم مصطلح علم اللغة بصورة أكثر دقة فيقول: "علم اللغة علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك الدلالات بالوضع الشخصي"[27] ومعنى هذا أن مصطلح علم اللغة عند علماء القرون المتأخرة كان يشمل دراسة الجوانب التالية:[28]

1- العلاقة بين اللفظ والمعنى (مدلولات جواهر المفردات)

2- الأصوات أو الحروف التي تتألف منها المفردات (هيئاتها الجزئية)

3- الصيغ الصرفية (تركيب كل جوهر وهيئاتها الجزئية على وجه جزئي)

4- الدلالة الوضعية للمفردات (معانيها الموضوعة لها بالوضع الشخصي)

أما الهدف من وراء هذا العلم فكما يقول: "وغايته الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية والوقوف على ما يفهم من كلام العرب"[29] فهو إذن علم معياري كما يقول

---

[26] – السيوطي: المزهر ج25/1.

[27] – طاش كبري زادة: مفتاح السعادة ومصباح السيادة. دار المعارف مصر دت. ج100/1

[28] – حلمي خليل: مقدمة لدراسة اللغة ص30.

[29] – طاش كبري زادة: مفتاح السعادة ومصباح السيادة ج101/1

علماء اللغة اليوم، أي يبحث عن جوانب الصواب والخطأ في استعمال المفردات من حيث الدلالة والبنية، لا علم وصفي يصف المادة اللغوية في ذاتها دون البحث عن الصواب والخطأ في الاستعمال.

ثم يذكر طاش كبري زادة بعض المؤلفات في علم اللغة فيقول: " ومن الكتب المختصرة في علم اللغة كتاب العين للخليل"[30] وكتاب العين للخليل معجم لغوي يقوم على ترتيب صوتي وفق مخارج الحروف. وقد وصفه السيرافي بقوله:" كتاب العين المعروف المشهور والذي به يتهيأ ضبط اللغة "[31] وأكبر الظن أن السيرافي يعني بعبارة "ضبط اللغة" ما أشار إليه صاحب مفتاح السعادة بقوله:" وغايته الاحتراز عن الخطأ في المعاني الوضعية " من هذا يمكن القول بأن مصطلحات "اللغة" أو "علم اللغة" أو "علم اللغات" كانت تدل في التراث اللغوي العربي على دراسة ومعرفة عدد من الموضوعات تتمثل فيما يلي:[32]

1- جمع المادة اللغوية المتمثلة أساسا في المفردات وترتيبها وروايتها.

2- عمل المعاجم وبعض الرسائل اللغوية التي تتصل بتنظيم هذه المفردات.

3- دراسة بعض الجوانب الصوتية والصرفية والاشتقاقية.

4- معرفة اللهجات العربية القديمة والفروق اللغوية بينها.

---

[30] – طاش كبري زادة: مفتاح السعادة ومصباح السيادة ج201/1

[31] – السيرافي أبو سعيد: أخبار النحويين البصريين. تح: الزيني والخفاجي. مطبعة الحلبي القاهرة ط1 1955. ص 38.

[32] – حلمي خليل: مقدمة لدراسة اللغة ص31.

يضاف إلى ذلك البحث في نشأة اللغة، وهو ما انفرد السيوطي بالإشارة إليه عند تحديده لمفهوم علم اللغات. وكل هذا يهدف الاحتراز من الخطأ في استعمال كلام العرب.

مصطلح فقه اللغة:

يدل المعنى اللغوي لكلمة " فقه " في المعاجم العربية على العلم وحسن الإدراك والفهم، ففي لسان العرب لابن منظور نجد أن الفقه هو العلم بالشيء والفهم له، وفقه فقها أي علم علما. وفقه عنه فهم...والفقه الفطنة، وفاقهه أي باحثه في العلم ففقهه أي غلبه[33] كما نجد أيضا المعنى الاصطلاحي بعد حديث ابن منظور عن المعنى اللغوي يقول: " وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر العلوم"[34] أي أن مصطلح الفقه غلب على العلوم الشرعية، أي العلم بأصول الدين وأحكامه من حيث استنباط هذه الأحكام من القرآن الكريم والسنة النبوية. ولذلك يقال لمن يشتغل بعلوم الدين "فقيه" والجمع فقهاء، أي علماء أصول الفقه أو الأصوليون. وفي العربية المعاصرة تطلق كلمة الفقه على من يقرأ القرآن الكريم ويعلمه[35]

ويبدو أن كلمة فقه قد انتقلت من المعنى اللغوي بمعنى الفهم أو التعمق في المعرفة إلى علماء اللغة القدماء، أو لعلها انتقلت بالمعنى الاصطلاحي أي العلم بأصول الدين إلى بنية اللغويين فاستخدموها وهم يقصدون الفهم العميق للغة أو العلم بأصول اللغة

---

[33] – ابن منظور جمال الدين : لسان العرب. الدار المصرية للتأليف والترجمة بولاق مادة "ف ق ه ".

[34] – ابن منظور: لسان العرب مادة " ف ق ه ".

[35] – انظر مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط. ط4 2004 مادة " ف ق ه ".

وخصائصها على العلم بأصول الدين، ومن ثم أصبحت تدل عندهم على التعمق في فهم ومعرفة أسرار اللغة وأصولها وخصائصها. يدل على ذلك كتابان من التراث العربي وصلا إلينا هما كتاب الصاحبي في فقه اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس، وكتاب فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي. فإذا أردنا أن نتبين على وجه الدقة ما تدل عليه عبارة فقه اللغة عند هذين العالمين، فإننا لا نكاد نظفر بمفهوم واضح أو مباشر اتفقا عليه، وإن تشابهت موضوعات الكتابين، حيث يتناول كل منهما دراسة المفردات والتراكيب في اللغة العربية وبعض القضايا والمسائل اللغوية العامة. أما ابن فارس فلا يذكر عبارة فقه اللغة في كتابه ولكنه يقسم العرب أو العلم باللغة العربية عند العرب إلى أصل وفرع. فالفرع يتمثل في معرفة المفردات والصفات كقولنا رجل وفرس وطويل وقصير وغير ذلك. وهو الذي نبدأ به التعلم – كما يقول– أما الأصل فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها، ثم على رسوم العرب في مخاطباتها وما لها من الافتنان تحقيقا ومجازا.[36]

ويفهم من كلام ابن فارس أن الأصل هو الذي ينبغي على عالم اللغة أن يهتم به. وأما الفرع فهو الذي يهتم به معلم اللغة. والفرق بين العالم والمعلم أن العالم يبحث عن حقائق

[36] – ابن فارس أحمد بن زكريا: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. تح: أحمد صقر. مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة 1977. ص3.

وأسرار الظواهر اللغوية لكي يكشف عن القوانين التي تحكمها، أما المعلم فهو الذي يسأل عن الجائز وغير الجائز والصحيح وغير الصحيح كي يعلمه الناس.[37]

ولذلك يرى ابن فارس أن المعلم يشتغل دائما بالفرع دون الأصل، في حين أن العالم يشتغل بالفرع والأصل معا لأن لهما أهمية بالغة في معرفة حقائق وأسرار اللغة. ومن ثم يقسم الناس من حيث الاهتمام بالأصل والفرع إلى صنفين، رجل شغل بالفرع فلا يعرف غيره وآخر جمع الأمرين معا، وهذه هي الرتبة العالية، لأن بها يعلم خطاب القرآن والسنة وعليها يعول أهل النظر والفتيا. وذلك أن طالب العلم العلوي – كما يقول – يكتفي من أسماء الطويل باسم الطويل ولا يضيره ألا يعرف الأشق والأمق (من مترادف كلمة الطويل) وإن كان في علم ذلك زيادة فضل. وإنما لم يضره خفاء ذلك عنه لأنه لا يكاد يجد في كتاب الله – جل ثناؤه– شيئا فيتحوج إلى علمه، ويقل مثله في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم إذ كانت ألفاظه هي السهلة العذبة. ولم أنه لم يعلم توسع العرب في مخاطباتها لعيي بكثير من محكم الكتاب والسنة [38]

وبناء على ذلك فإن فقه اللغة عند ابن فارس هو ما يهتم به العالم الذي يريد أن معرفة الأصل، لأن القرآن الكريم نزل وفق هذا الأصل ويتمثل ذلك في المعرفة العميقة الواسعة لأمرين هما:

---

[37] – حلمي خليل: مقدمة لدراسة اللغة ص 13.

[38] – ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ص3.

- المفردات.

- أسرار التركيب وطريقة العرب في الكلام.

أما الكتاب الثاني من كتب التراث العربي التي تناولت فقه اللغة فهو كتاب أبي منصور الثعالبي وعنوانه " فقه اللغة وسر العرب في كلامها ". والملاحظ أن هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد في التراث العربي الذي حمل على صدره عبارة " فقه اللغة " ومع ذلك لا نكاد نجد بين دفتي الكتاب شرحا واضحا لمفهوم هذه العبارة أو دلالة على منهج واضح في دراسة اللغة بعامة واللغة العربية خاصة، بل إن عنوان الكتاب لم يكن من وضع الثعالبي نفسه أو من اختياره. ففي مقدمة الكتاب يشير الثعالبي أنه ألف الكتاب بناء على طلب هذا الأمير وهو أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي الذي كانت تجري في مجلسه نكت من أقوال أئمة اللغة والأدب وجوامعها وطرائفها وخصائصها ولم ينتبه أحد إلى جمع هذه النكت والطرائف فأشار الأمير على الثعالبي بجمعها في كتاب فلما انتهى من عمله ولم يكن قد وضع له عنوانا اقترح عليه الأمير أن يسميه " فقه اللغة " وشفعه الثعالبي بـــ " سر العربية" ليكون اسم الكتاب موافقا لفظه لمعناه[39] ومعنى هذا أن عبارة " فقه اللغة" لم تكن لها دلالة اصطلاحية واضحة عند علماء العربية مثل الثعالبي أو غيره، وإنما هي اجتهاد من هذا الأمير أو على الأقل استخدمها بالمعنى اللغوي لكلمة "فقه" الذي أشرنا إليه سلفا. غير أن الفرق بين ما يسمى بفقه اللغة وما سمي بسر

[39] – ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ص3.

العربية يبدو واضحا في كتاب الثعالبي. وهو يقصد بفقه اللغة دراسة وتنظيم المفردات فيما يسميه الآن علماء اللغة الحقول الدلالية مع شرح الدلالات وبيان الفروق الدلالية. في حين يقصد بسر العربية معرفة خصائص التراكيب وأسرارها وبخاصة من خلال استعمالات القرآن الكريم. ومعنى هذا أن أسرار العربية عند الثعالبي تتفق إلى حد كبير في موضوعاتها مع ما أطلق عليه ابن فارس "الأصل" في حين أن فقه اللغة عند الثعالبي واضح كل الوضوح إذ ينصرف إلى دراسة المفردات ومعرفة الدلالات. أما إذا فهمنا عبارة "سر العربية" على أنها شرح أو بيان لعبارة " فقه اللغة" فإن هذا يعني أن مفهوم فقه اللغة عند الثعالبي يدل على دراسة اللغة العربية مفردات وتراكيب، ومعرفة أسرارها وخصائصها. ومعنى ذلك أيضا أن ابن فارس والثعالبي يتفقان في الهدف الأساسي من دراسة هذه الموضوعات. فهي عندهما للتعلم وفهم القرآن الكريم. كما نلاحظ أيضا أنهما يتفقان في موضوعات القسم الثاني وهو المسمى عند ابن فارس بالأصل وعند الثعالبي بسر العربية، فإذا كان ذلك كذلك فإن عبارة فقه اللغة عند علماء العربية القداء تنصرف بصورة عامة إلى درس العربية دراسة عميقة بعيدا عن أبواب النحو والصرف المعروفة، وذلك من حيث معرفة دلالة المفردات وأسرار التراكيب وخصائصها، ويتصل ذلك بموضوعات لغوية ونحوية وصرفية وبلاغية وأسلوبية من أبرزها الموضوعات التالية:

1- نشأة اللغة وأصلها.

2- المفردات ودلالتها والعوامل المؤثرة في تطور هذه الدلالة .

3- دراسة التراكيب والنظم.

4- الصور الفنية مثل الاستعارات والتشبيهات. أي المجاز بصوره المختلفة.

5- المحسنات اللفظية مثل الجناس والطباق وغيرها.

6- العلاقات الدلالية بين الكلمات مثل الترادف، المشترك اللفظي والأضداد.

وهذا يدلنا على أن موضوع فقه اللغة عند العرب لم يكن موضوعا محددا واضحا، وإنما هو موضوعات شتى تتصل أحيانا بمباحث لغوية عامة وأكثر الأحيان بموضوعات خاصة باللغة العربية وحدها على المستويات الصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية. يضاف إلى ذلك غيبة منهج واضح تدرس من خلاله هذه الموضوعات. وإنما هي ملاحظات على استعمالات لغوية توضح كيف ينتظم الكلام العربي وكيف يتفنن أبناء العربية الخلص في الكلام. وكل ذلك لهدف ديني وتعليمي هو فهم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتعليم أصحاب صناعة الكتابة كيف يستخدمون المفردات والتراكيب العربية وتنوعها طبقا لخصائص العربية أي أن فقه اللغة عند العرب أو بمعنى أدق عند علماء العرب القدماء لم يكن علما له موضوع واضح أو منهج محدد. ويفتقر إلى صفات العلم من حيث الموضوع والتنظيم. وإذا بحثنا عن العلاقة بين موضوعات اللغة أو علم اللغة وموضوعات فقه اللغة وجدنا بينهما تآلفا كبيرا، وإن كان علم اللغة أخص من فقه اللغة لأن علم اللغة أو اللغة كلاهما يتصل أصالة بدراسة المفردات فيما يشبه الرسائل

اللغوية الصغيرة كما وجدنا ذلك عند الثعالبي. يضاف إلى ذلك أن فقه اللغة يهتم بدراسة بعض الجوانب النحوية والبلاغية والأسلوبية وهو ما لا نجده في موضوعات اللغة أو علم اللغة. وكل منهما يتناول مسألة نشأة اللغة. أو بعبارة أخرى فإن دائرة فقه اللغة أوسع من دائرة اللغة أو علم اللغة. وهما معا يختصان بدراسة اللغة العربية وحدها دون اللغات الأخرى. ويخضع "علم اللغة" وكذلك "اللغة" لنوع من التنظيم أو المنهجية في تناول المادة اللغوية خاصة علم المعاجم.

نشأة اللسانيات العربية :

يعد مصطلح اللسانيات العربية من المصطلحات النادرة الاستخدام في الدلالة على دراسة اللغة في التراث اللغوي العربي. إذ لا نجده يتردد بصورة لافتة للنظر في كتب علماء اللغة القدماء ومؤلفاتهم. ولعل أقدم من استخدم هذا المصطلح هو أبو نصر الفارابي الفيلسوف العربي المشهور وذلك في كتابه "إحصاء العلوم" وهو كتاب في فلسفة العلوم وتصنيف موضوعاتها وشرح منهج كل علم في تناول موضوعه. وقد جعل الفارابي علم اللسان في مقدمة العلوم[40] كأنما هذا العلم عنده هو مفتاح العلوم الأخرى ومصرفها. أما ما يقصده بمصطلح "علم اللسان" وتصوره لموضوعاته ومنهجه فنجد ذلك في الفصل الأول من كتابه حيث يرى أن علم اللسان ضربان: أحدهما حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما وعلم ما يدل عليه شيء منها. والثاني علم قوانين تلك الألفاظ [41] أي

---

[40] – انظر الفارابي : إحصاء العلوم.دار الكاتب العربي. القاهرة دت ص 2.

[41] – انظر الفارابي : إحصاء العلوم ص 3، 4.

أن علم اللسان يتفرع عنده إلى فرعين أساسين هما علم اللسان التطبيقي وعلم اللسان النظري. أما علم اللسان التطبيقي فهو يتصل عنده بحفظ الألفاظ أو اللغة عن طريق التعلم كما يقول ليسهل تعلم ما تحتوي عليه الصناعة وحفظها[42] ولفظ الصناعة يتصرف في التراث العربي والإسلامي إلى معنى العلم في العصر الحاضر. فصناعة النحو عند القدماء تعني علم النحو. والفارابي يوضح لنا ذلك في شرحه لمفهوم علم اللسان النظري أو كما حدده بقوله هو:" علم قوانين تلك الألفاظ [43] والقوانين في كل صناعة كما يقول هي: " أقوال كلية جامعة، ينحصر في كل واحد منها أشياء كثيرة مما تشتمل عليه تلك الصناعة حتى يأتي على جميع الأشياء التي هي موضوعه للصناعة أو على أكثرها. وتكون معدة إما ليحاط بها ما هو من تلك الصناعة لئلا يدخل فيها ما ليس منها أو يشذ منها ما هو منها، وإما ليمتحن بها ما لا يؤمن أن يكون قد غلط فيها غالط"[44]

نستشف من وراء ذلك أن علم قوانين الألفاظ هو علم تجريدي شأنه في ذلك شأن أي علم آخر يسعى إلى وضع قوانين عامة. فهو علم لا يدرس لغة بعينها، وإنما هو دراسة للظاهرة التي تسمى اللغة كما تتمثل في المفردات والتراكيب. أما فروع علم اللسان فهي عنده تقع في سبعة فروع أو علوم كما أسماها. بعضها عام يصدق على كل اللغات وبعضها خاص بلغة معينة. وهذه الفروع هي:[45]

---

[42] – انظر الفارابي : إحصاء العلوم ص 4.

[43] – انظر الفارابي : إحصاء العلوم ص 5.

[44] – انظر الفارابي : إحصاء العلوم ص 6.

[45] – انظر الفارابي : إحصاء العلوم ص 7، 8، 9، 10.

- علم الألفاظ المفردة: وهو ما أطلق عليه علماء العربية القدماء اللغة أو علم اللغة أو متن اللغة.

- علم الألفاظ المركبة: وهو علم خاص بكل لغة يتصل بجميع النصوص.

- علم قوانين الألفاظ المفردة: وهو علم عام يتصل بمنهج دراسة الألفاظ في اللغات الإنسانية وهو عنده يشمل دراسة المستويين الصوتي والصرفي.

- علم قوانين الألفاظ عندما تتركب: وهو علم عام يختص بدراسة التراكيب (علم النحو) ويقسم الفارابي هذا العلم إلى ضربين، أحدهما يفحص حركات الإعراب. والثاني يعطي قوانين في أحوال التركيب والترتيب نفسه. أي دراسة نظم الكلمات من حيث ترتيبها داخل الجملة.

- علم قوانين الكتابة: وهو ما يسمى في علم اللغة الحديث بعلم الخط.

- علم قوانين تصحيح القراءة: وهو علم يتصل بعلم قوانين الكتابة إذ يفحص مواضع الحروف وما يكتب في السطور ونقط الإعجام والإدغام والفصل والوصل والمقاطع...

- علم الأشعار: ويهتم بدراسة الأوزان الشعرية والقوافي.

الفكر اللساني في التراث:

تستهدف علوم اللسان التراثية دراسة الفكر اللغوي العربي القديم من حيث إنه تصورات ومفاهيم وطرق تحليل في ضوء النظريات اللسانية الحديثة. وتسعى علوم اللسان التراثية إلى التوفيق بين مضامين التراث اللغوي العربي وما تقدمه اللسانيات من نظريات.

ويستعمل لسانيو التراث شتى الوسائل المعرفية لتحقيق غاية التوفيق في إطار ما عرف بالقراءة أو إعادة القراءة. لكن هؤلاء الباحثين لا يشكلون مدرسة متجانسة، إنهم مجموعة من وجهات النظر والمواقف الفردية المتفاوتة من حيث طبيعة الجهاز النظري والمهني الذي يتم من خلاله التعامل مع التراث العربي[46]

الاتجاه الشمولي في قراءة التراث:

يتناول هذا الصنف من القراءة النظرية اللغوية عند العرب في شموليتها بهدف إثبات السبق والتفوق العربيين في هذا المجال. ويمكن الوقوف على مثل هذا المسعى عند صبحي الصالح في مقاله المعنون بـــ " أصول الألسنية عند النحاة العرب" حيث يعلل اختياره لهذا العنوان بالقول[47]: " قد يكون مثل هذا العنوان الذي اخترناه لبحثنا مدعاة للدهشة عند علماء اللغة المعاصرين لأنهم يستكثرون على قدماء نحوييننا ولغوييننا العرب منذ قرون وأجيال أن يخوضوا في علوم لم تستقر تسميتها إلا في نهاية القرن التاسع عشر، ولم تستقل فروع التخصص فيها إلا في منتصف القرن العشرين، وما تبرح على ما بلغته من نتائج أحوج ما تكون إلى من يدمن التحقيق والتمحيص, وتزداد الدهشة من إثارة موضوع كهذا إذا توهم القارئ أننا نقصد بأصول الألسنية مناهجها ومبادئها على

[46] – مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة ص 135.

[47] – صبحي الصالح: أصول الألسنية عند النحاة العرب. مجلة الفكر العربي ع 8– 9 معهد الإنماء العربي بيروت 1979. ص 59.

السواء غير مكتفين بالجزئيات التي يشهد بوفرتها عند نحوبينا ما تنقله وينقلهم عنهم غيرنا من النصوص.

لقد اهتدى اللغويون العرب إلى أدق جزئيات البحث اللساني في نظر صبحي الصالح، وهي تعلن عن نفسها بنفسها. وكل إغفال لها هو من ضعف الذاكرة الذي بات يصيب الأوساط العلمية اللغوية الحديثة، لأنها تبدي إعجابها بتعريفات الدارسين المعاصرين للغة وبالنتائج المترتبة على تعريفاتهم. بينما ننسى رد جمهرة تلك التعريفات إلى أصولها الأولية عند أسلافنا العرب الخالدين[48] وفي نفس الاتجاه يرى حسام البهنساوي أن فضل السبق في كثير من القضايا والمباحث اللغوية التي توصلت إليها مناهج البحث اللغوي الحديث سواء أكانت هذه المناهج الوضعية البنيوية التي تربعت على عرش الدراسات اللغوية الحديثة زمنا ليس بالقصير منذ أن أصل معطياته اللغوي السويسري دي سوسير في أوائل القرن العشرين، أم كانت هذه المناهج التوليدية التحويلية أحدث المناهج اللغوية الحديثة وأدقها والذي نال من الشهرة والذيوع والاهتمام قدرا كبيرا في الربع الأخير من القرن العشرين[49]. لأجل ذلك لا يتردد الباحثون في علوم اللسان التراثية في الكشف عن أصول البنيويين والتوليديين في التراث اللغوي العربي.

---

[48] – صبحي الصالح: أصول الألسنية عند النحاة العرب ص9.

[49] – حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب والفكر الغربي الحديث ص7.

اللسانيات العربية والغربية التأثير والتأثر:

1- أصول من اللسانيات البنيوية الوصفية في التراث اللغوي العربي:

نعلم أن الاتجاه البنيوي الوصفي يرجع إلى اللساني السويسري فردينا ندي سوسير، غير أن النبش والتنقيب في التراث اللغوي العربي قد يكشف عن معرفة العرب بأصول هذا الاتجاه. فنجد أحد الباحثين وهو تمام حسان يذهب إلى أن الاتجاه البنيوي يرى اللغة بنية منظمة متكاملة، فيعنى بتصريف الكلمات وصلاتها الاشتقاقية وصورها الإسنادية والإلصاقية من حيث الفصل والوصل مع إبراز الطابع العضوي لأنماط اللغة وما يترتب على ذلك من الاعتماد على فكرة المعاقبة في الموقع المعين، ثم الربط بين الصورة والوظيفة التي تؤديها الصورة في النظام. ولكن النحو العربي عرف هذا الاتجاه كذلك وبخاصة في الدراسة الصرفية " الوظيفية " إلى الصيغ المجردة حتى قبل أن تصاغ الكلمات على نمطها[50] وقد ذهب إبراهيم أنيس إلى أن النحاة المتقدمين كانت تغلب على أقيستهم سمة الوصفية، وهي مرحلة تقوم على استقراء اللغة وملاحظة الظواهر فيها، ومن ثم تشكيل أو صوغ قاعدة قياسية. وبذلك تكون القاعدة القياسية نتيجة طبيعية للاستقراء. لأجل ذلك رأى إبراهيم أنيس أن البديل يكمن في القياس الطبيعي الوصفي، لأن القياس في المنهج الوصفي يعبر عن السلوك اللغوي كما بدا في المادة المستقرأة ولا ينسحب على السلوك اللغوي في المستقبل ومن ثم فالقاعدة القياسية عند الوصفيين ليست

[50] – تمام حسان: تعليم اللغة بين النظرية والتطبيق. مجلة مناهل. وزارة الثقافة الرباط عدد 7-8 1977/1976. ص113.

قاعدة تخليص معياري. وهذا ما يأخذه الوصفيون على المناهج التقليدية في دراسة اللغة[51] وقد تعرض حلمي خليل لانتقادات الوصفيين للنحو العربي وقدم جملة من الردود عليها يمكننا أن نجملها فيما يأتي[52]:

ينبغي أن نفهم الأشياء في سياقها. فقد نشأ النحو لفهم النص القرآني الكريم. فاللغة التي توجه إليها النحاة هي هذا النص الذي هو مناط الأحكام في الحياة الإسلامية، والذي هو أيضا إعجاز لغوي. ومن ثم كان توجههم إلى النصوص الأدبية والشعرية منها بخاصة لاستخلاص القوانين التي تدور عليها العربية التي نزل بها القرآن الكريم. ونحسب أن هذا أمر ضروري لفهم طبيعة النحو العربي، وفي وضعه في إطاره الصحيح. غير أننا قد نلفت إلى أن الحكم على النحو بأنه اعتمد على هذا المستوى الخاص من اللغة فيه نصيب كبير من الصحة وفيه أيضا نصيب من التجوز. فالنحاة في الحق لم يأخذوا كل قواعدهم من النصوص العالية، بل اتصلوا بالحياة اللغوية بمعناها الواسع. ولا زلنا نذكر ما قاله البصريون لعلماء الكوفة: "نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع وأنتم تأخذونها أكلة الشواريز وباعة الكواميخ"[53] فالبحث عن نقاء اللغة وفصاحتها كانت غاية من غاياتهم في الجمع اللغوي. وقد أبان ابن جني في ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر أن علة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من

---

[51] – حليمة أحمد عمايرة: الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة. دار وائل ط1 2006 الأردن ص 183.

[52] – حلمي خليل: النحو العربي والدرس الحديث ص 51، 52، 53.

[53] – السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو. مطبعة السعادة القاهرة 1976. ص 24.

الاختلال والفساد والخطل. ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر.[54]

والحق أن اختلاط مستويات الدرس ظاهرة واضحة في النحو العربي، ولم يكن أمرا غريبا في المراحل الباكرة التي نهتم بها في هذا البحث ولكنها استمرت في الأعمال المتأخرة رغم محاولات طيبة في فصل هذه المستويات. فقد ظهرت كتب مفردة في دراسة الأصوات اللغوية مثل كتاب سر صناعة الإعراب لابن جني. وظهرت كتب مفردة للدرس الصرفي مثل تصريف أبي عثمان المازني وشرح ابن جني له في المنصف الذي أشار فيه إلى وجوب أن يكون الصرف سابقا للدرس النحوي لأن " التصريف إنما هو معرفة أنفس الكلمة الثابتة والنحو هو لمعرفة أحواله المتنقلة ... وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة[55]. غير أن اختلاط الصرف بدراسة تراكيب الكلام في الكتب النحوية لا يختلف كثيرا عما يقرره الوصفيون من أن النحو يشمل المورفولوجيا والنظم، أو أن النحو عند التحويليين يشمل كل مستويات الظاهرة اللغوية. لكن ذلك لا يعني في الحقيقة اختلاط المستويات. لأن لكل مستوى منها منهجه ومصطلحاته في تحليل المادة بحيث تؤدي مع تطبيق

---

[54] – ابن جني أبو الفتح عثمان : الخصائص. تح: محمد علي النجار. المكتبة العلمية ج2 ص 05.

[55] – ابن جني: المنصف في شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني. تح: إبراهيم مصطفى. مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ج1 ص 04.

مبادئ البحث العلمي إلى الوصول إلى القوانين الموضوعية لها. إلا أن ذلك كله يلفتنا إلى أن كتب النحو العربي حافلة بمادة صالحة جدا عن العربية. وهذه المادة وإن تكن في مستوى لغوي وزماني ومكاني معين تقفنا على طريقة القدماء في تناول الظاهرة اللغوية وهي طريقة لا تبتعد في جوهرها عن كثير مما يقرره الوصفيون. ولقد يكون مفيدا أن نشير إلى أهم مظاهر الوصف في النحو العربي على النحو التالي[56]:

– أن العمل النحوي قد اعتمد على منهج خاص في جمع اللغة وقد كان اتصالا مباشرا بالاستعمال اللغوي. وكتب التراجم تذكر رحلة النحاة الأئمة إلى البادية لجمع اللغة وتروي حرصهم على معرفة الصورة الواقعية للكلام كما ينطقه البداة. ولا زلنا نذكر أبا عمرو بن العلاء الذي كانت تشتبه عليه كلمة " فرجة" أهي بفتح الفاء أم بضمها. وكان هاربا من الحجاج حتى لقي أعرابيا في الصحراء ينطقها بالفتح ويخبره عن موت الحجاج فيقول أبو عمرو فما أدري بأيهما كنت أشد فرحا، بقوله " فَرجة" أم بقوله مات الحجاج[57] ولا زلنا نذكر كذلك أن الكسائي قد خرج إلى الصحراء وأنفذ خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه[58] وتبرز في كتب ابن جني وهو من أئمة القرن الرابع الهجري ظاهرة جمع المادة من الاتصال المباشر بالمصدر البشري. من ذلك ما يرويه عن لقاءاته مع أبي عبد الله الشجري وسألته يوما فقلت له: كيف تجمع

---

[56] – حلمي خليل: النحو العربي والدرس الحديث 53، 54، 55.

[57] – الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء. تح: أبو الفضل إبراهيم. دار نهضة مصر ص 99.

[58] – ابن جني: الخصائص ج1 ص 242.

دكانا؟ فقال: دكاكين. قلت: فسرحان؟ قال: سراحين.قلت: فقرطانا؟ قال: قراطين. قلت: فعثمان؟ قال: عثمانون. فقلت له: هلا قلت أيضا: عثامين؟ قال: أيش عثامين؟ أرأيت إنسانا يتكلم بما ليس من لغته؟ والله لا أقولها أبدا[59] والاتصال المباشر بالواقع اللغوي أصل من أصول النحو الوصفي كما ذكرنا. وقد كان أيضا من أصول النحو العربي نتيجة لطبيعة الحياة العربية ولطبيعة الحركة العلمية التي نشأت في مناخ عام أساسه النقل والرواية. وقد أدى هذا الاتصال إلى أن يكون في النحو اتجاه وصفي في تناول كثير من ظواهر اللغة.

– العمل الثابت الذي قام به أبو الأسود الدؤلي في ضبط النص القرآني كان عملا وصفيا. ومهما يكن من اختلاف الآراء في وضعه بعض قواعد النحو، فإن عمله في الضبط قد مهد للتناول النحوي. وهو عمل وصفي محض لأنه قام على الملاحظة المباشرة لقراءة النص، فقد قال لكاتبه: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه إلى أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف[60] وهذه الصورة تمثل قارئا يقرأ، وكاتبا يلاحظ حركة شفتيه حتى تكون الرموز وصفا لهذه الحركة. ولا شك أن هذه التعبيرات التي أطلقها أبو الأسود الدؤلي على حركة شفتيه من فتح وضم وكسر كانت أساس المصطلحات

[59] – ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص 99.

[60] – ابن النديم: الفهرست ص 59، 60.

الإعرابية في النحو العربي. وقد كان هذا الأصل الوصفي في وضعها ذا تأثير في دراستها عند أوائل النحاة.

– أن الاتجاه الوصفي في النحو العربي يظهر جدا في كثير مما قرره النحاة الأوائل من أحكام. فالحق أن ما قرروه لم يكن كله تأويلا أو تقديرا أو تعليلا، وإنما كان فيه ما هو وصف تقريري محض، وكان ذلك أوضح ما يكون في الأعمال الأولى التي هي هدف هذا البحث. والمتتبع للكتاب يرى أن سيبويه قد أقام قواعده في أغلبها على الاستعمال اللغوي ونلحظ ذلك من عدة أمور:[61]

– أ– أنه يقرر مباشرة أن الأحكام إنما تجري على كلام العرب، وفي كتابه تتكرر عبارات من نحو: فأجره كما أجروه، وضع كل شيء موضعه. أو فأجره كما أجرته العرب واستحسنته[62]

– ب– أنه لا يوغل وراء تفسير الظواهر إذا لم تكن لديه مادة تسند رأيه بل يميل فيها إلى الاستعمال مقررا استحالة الاستقراء التام للكلام، وكثيرا جدا ما يدور مثل هذا التقرير: " وكل شيء جاء قد لزمه الألف واللام فهو بهذه المنزلة... فإن كان عربيا نعرفه ولا نعرف الذي اشتق منه فإنما ذاك لأنا جهلنا ما علم غيرنا، أو يكون الآخر لم يصل إليه علم وصل إلى الأول المسمى"[63]

---

[61] – حلمي خليل: النحو العربي والدرس الحديث ص 56، 57.

[62] – سيبويه: الكتاب ج1 ص 275، 277.

[63] – سيبويه: الكتاب ج1 ص 268.

– ج– أن تحري الاستعمال اللغوي أدى به إلى عدم إغفال اللهجات باعتبارها عناصر في اللغة الموحدة. وفي الكتاب مادة لا بأس بها تتبع الاستعمال اللهجي. ولئن كان سيبويه يرجح لهجة الحجاز في كثير من الأحيان فإنه لا يتردد في أن يقرر أفضلية اللهجات الأخرى حين يرى الاستعمال فيها أكثر في الكلام يقول:" هذا باب اختلاف العرب في الاسم المعروف الغالب إذا استفهمت عنه بمن. اعلم أن أهل الحجاز يقولون إذا قال الرجل رأيت زيدا: من زيدا؟ وإذا قال مررت بزيد قالوا: من زيدٍ؟ وإذا قال هذا عبد الله قالوا: من عبدُ الله؟ وأما بنو تميم فيرفعون على كل حال، وهو أقيس القولين. فأما أهل الحجاز فإنهم حملوا قولهم على أنهم حكوا ما تكلم به المسئول، كما قال العرب: دعنا من تمرتان على الحكاية لقوله ما عنده تمرتان. وسمعت عربيا مرة يقول لرجل سأله فقال: أليس قرشيا؟ فقال: ليس بقرشيا حكاية لقوله. فجاز هذا في الاسم الذي يكون علما غالبا على ذا الوجه. ولا يجوز في غير الاسم الغالب كما جاز فيه. وذلك أنه الأكثر في كلامهم وهو العلم الأول الذي به يتعارفون. وإنما يحتاج إلى الصفة إذا خاف الالتباس من الأسماء الغالبة. وإنما يحكي مبادرة المسئول، أو توكيدا عليه أنه ليس يسأله عن غير هذا الذي تكلم به. وإذا قال رأيت أخا خالد، لم يجزه إلا على قول من قال: دعنا من تمرتان وليس بقرشيا. والوجه الرفع لأنه ليس باسم غالب."[64]

[64] – سيبويه: الكتاب ج1 ص 403.

– د– أن فكرة القياس على كثرة ما قيل فيها لم تكن عند سيبويه غير متابعة الكلام العربي وفي الكتاب إلحاح على هذا التصور، فتجد فيه مثل قوله:" لأن هذا أكثر في كلامهم وهو القياس"[65] أو قوله:" فهو قبيح لا تتكلم به العرب ولكن النحويين قاسوه... وأما قول النحويين: قد أعطاهوك وأعطاهوني فإنما هو شيء قاسوه لم تتكلم به العرب، ووضعوا الكلام في غير موضعه. وكان قياس هذا لو تكلم به كان هينا" بل إنه يعارض الخليل ويونسا في تفسيرهما رفع "أي" في "اضرب أيهم أفضل" قائلا: " ومن قولهما: اضرب أي أفضل. وأما غيرهما فيقول: اضرب أيا أفضل ويقيس ذا على الذي وما أشبهه من كلام العرب. ويسلم في ذلك المضاف إلى قول العرب ذلك. يعني أيهم وأجروا أيا على القياس. ولو قالت العرب: اضرب أي أفضل لقلته ولم يكن بد من متابعتهم، ولا ينبغي أن نقيس على الشاذ المنكر في القياس كما أنك لا تقيس على أمس أمسك"[66]

– ه – أن معظم ما توصل إليه من تفسير للقوانين العامة كان مرده إلى كثرة الاستعمال. من ذلك ما فسر به الحذف في قوله:" ويحذفونه فيما كثر من كلامهم لأنهم إلى تخفيف ما أكثروا استعماله أحوج"[67] أو قوله:" وغيروا هذا لأن الشيء إذا كثر في كلامهم كان له نحو ليس لغيره مما هو مثله. ألا ترى أنك تقول: لم أك ولا تقول: لم أق

[65] – سيبويه: الكتاب ج1 ص258.

[66] – سيبويه: الكتاب ج1 ص283.

[67] – سيبويه: الكتاب ج1 ص394.

إذا أردت لم أقل... فالعرب مما يغيرون الأكثر في كلامهم عن حال نظائره."[68] أو قوله:" والترخيم حذف أواخر الأسماء المفردة تخفيفا كما حذفوا غير ذلك من كلامهم تخفيفا... واعلم أن الترخيم لا يكون إلا في النداء إلا أن يضطر شاعر. وإنما كان ذلك في النداء لكثرته في كلامهم، فحذفوا ذلك كما حذفوا التنوين وكما حذفوا الياء من قومي ونحوه في النداء"[69]

– و– أن مدرسة الكوفة قد عرفت بأنها مدرسة وصفية، وإن كان ذلك لا ينبغي أن يكون حكما عاما، لأن الأعمال الأولى لدى أئمة المدرستين اختلط فيها الوصف والتفسير. لكن الملاحظ أنه لم تصلنا كتب نحوية متخصصة تنسب إلى رجال الكوفة الأوائل، وإنما وصلتنا كتب تتناول النحو من خلال الاتصال بالنصوص ككتاب الفراء " معاني القرآن". وقد كان هذا الاتجاه حقيقا أن يطبع العمل في أغلبه بطابع الوصف، ونحن لا نزال نذكر عبارة الكسائي حين سئل في مجلس يونس عن قولهم: لأضربن أيهم يقوم. لم لا يقال: لأضربن أيهم؟ فقال: أي هكذا خلقت" ولسنا نعرف تعبيرا أدل على الوصف المحض من تعبيره: أي هكذا خلقت[70] وقد اتسم هذا الاتجاه حتى لنجده في القرن الرابع عند ابن فارس الذي يصف أحكام العربية وفقا للاستعمال ليس غيره بتعبيره المعروف: ومن سنن العرب كذا وكذا...[71]

---

[68] – سيبويه: الكتاب ج1 ص21.

[69] – سيبويه: الكتاب ج1 ص 329.

[70] – ابن جني: الخصائص ج2 ص 292.

[71] – ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ص 205.

- ز- أن النحاة الأوائل كانوا يتناولون الظواهر اللغوية على أساس شكلي. وهو مبدأ من مبادئ النحو الوصفي كما رأينا. ومنذ كتاب سيبويه رأينا معالجته للتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير والإفراد والتثنية والجمع والعلاقة بين الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر وغير ذلك على أساس الأشكال وليس على أساس المعاني. ولعلنا نشير هنا إلى جملة من مثل "ضارب زيد عامرا" لنعرف أنهم صنفوا الاسم الأول بأنه فاعل والاسم الثاني بأنه مفعول به رغم أنهما مشتركان في إحداث الفعل، ولكن تحليل الأشكال هو الذي جعلهم يطرحون المعنى عند فهم التراكيب. وقد أصل ابن جني هذا الأصل في غير موضع من كتبه نورد منها هنا ما قاله في باب الرد على من اعتقد فساد علل النحويين لضعفه هو في نفسه عن إحكام العلة يقول: اعلم أن هذا الوضع هو الذي يتعسف بأكثر من ترى، وذلك أنه لا يعرف أغراض القوم فيرى لذلك أن ما أورده من العلة ضعيف واه ساقط غير متعال. وهذا كقولهم : يقول النحويون إن الفاعل رفع والمفعول به نصب وقد ترى الأمر بضد ذلك، ألا ترانا نقول: ضُرب زيد. فنرفعه وإن كان مفعولا به. ونقول: إن زيدا قام فننصبه وإن كان فاعلا. ونقول عجبت من قيام زيد فنجره وإن كان فاعلا. ونقول أيضا: قد قال الله عز وجل:" ومن حيثُ خرجت" فرفع "حيث" وإن كان بعد حرف الخفض. ومثله عندهم في الشفاعة قوله عز وجل:" لله الأمر من قبل ومن بعد" وما يجري هذا المجرى. مثل هذا يتعب مع هذه الطائفة لا سيما إذا كان السائل عنه من يلزم الصبر عليه، ولو بدأ الأمر بإحكام الأصل لسقط عنه هذا الهوس وذا اللغو. ألا

ترى أنه لو عرف أن الفاعل عند أهل العربية ليس كل من كان فاعلا في المعنى، وأن الفاعل عندهم إنما هو كل اسم ذكرته بعد الفعل وأسندت ونسبت ذلك الفعل إلى ذلك الاسم وأن الفعل الواجب في ذلك سواء لسقط جماع هذا السؤال[72] وهذه أهم الجوانب البنيوية الوصفية في التراث اللغوي العربي لا سيما عند النحاة الأوائل.

2- أصول من اللسانيات التوليدية التحويلية في التراث اللغوي العربي:

ترجع نشأة اللسانيات التوليدية التي تدين بمبادئها وأصولها وتطوراتها المتعاقبة للعالم اللساني تشومسكي إلى بداية الخمسينيات من القرن الماضي. وما إن رسخت هذه النظرية أقدامها على خريطة البحث اللساني حتى تهافت عليها الباحثون في علوم اللسان التراثية في محاولة لتلمس السبل التي يمكن عبرها الربط بين التراث اللغوي العربي وبين هذه النظرية الجديدة ومن الأفكار الجديدة التي تميزت بها اللسانيات التوليدية الفكرة التي أخذها تشومسكي عن "همبولدت" والقائلة بأن القواعد المحدودة تفسر عددا لا متناهيا من الجمل. أما بالنسبة للنحاة العرب في نظر بعض أتباع علوم اللسان التراثية فإن ابن هشام نفذ إلى مضمون هذه الملاحظة في تقرير غير ملتبس منذ ستة قرون ونيف في كتابه المغني[73] وإذا كان من الثابت تاريخيا أن أهم ما جاء به النحو التوليدي في بداية الأمر يتمثل في مفهوم التحويل الذي يربط بين البنية العميقة والبنية السطحية. فإن هذا المفهوم في نظر أصحاب علوم اللسان التراثية له ما يقابله في النحو العربي.

---

[72] – ابن جني: الخصائص ج1 ص184.

[73] – نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء النظر الحديث. دار البشير الأردن ط2 1985. ص 16.

فهذا نظيره في النظرية العربية هو التحويل التقديري. فكل كلام يحتمل أكثر من معنى في أصل الوضع. فإن النحاة يقدرون لكل معنى لفظا، وهذا يحصل خاصة عندما يحاولون تفسير الكثير من الأبنية الملتبسة أو التي وقع فيها إشكال ما

كما نلاحظ أن مجمل استدراك تشومسكي على البنيويين مستشعر في استطلاعات سيبويه في باب اللفظ للمعنى من أوائل كتابه[74] ويؤكد وجود مفهوم التحويل في النحو العربي باحث آخر قائلا: والمفهومان مفهوم التحويليين[75] ومفهوم الخليل وابن جني في منتهى النظر متواردان في شبههما الأساسي[76] ونستطيع أن نجمل مجالات التقارب بين النحو العربي والنحو التحويلي التوليدي تقارب في الأصول والمصطلحات[77]

أولا: تقارب النحو العربي والنحو التوليدي في بعض الأصول:

نعرف أن النحو التوليدي رفض اعتماد مفهوم المتن باعتباره يتعارض والإبداع اللغوي الذي يميز النشاط اللغوي عند الفرد المتكلم. وقد حاولت بعض الدراسات اللسانية العربية رصد ما يماثل هذا الأصل في الفكر النحوي العربي. أما مفهوم العامل الذي تعرض لنقد اللغويين العرب الوصفيين فقد رد له اعتباره ومكانته بفضل النماذج التوليدية الأخيرة. إن قضية العامل قضية صحيحة في التحليل اللغوي، وقد عادت الآن في التحليل التحويلي على صورة لا تبتعد كثيرا من الصورة التي جاءت في النحو

---

[74] – نهاد الموسى: نظرية النحو العربي ص 46.

[75] – يقصد تشومسكي وهاريس.

[76] – نهاد الموسى: نظرية النحو العربي ص 05.

[77] – مصطفى غلفان: اللسانيات العربية ص 143.

العربي[78] وقد قرر باحث آخر أن ما أطلق عليه تشومسكي GOVERNEMENT بمعنى العامل في محاضراته التي نشرها في أوائل الثمانينيات يتفق إلى حد كبير مع نظرية العامل التي أقام عليها سيبويه كتابه وأثرت في اللغويين من بعده[79] ويمكننا أن نتساءل فإلى أي حد يمكن القول بأن النظرية العاملية في النحو التوليدي هي نفسها نظرية العامل في النحو العربي؟

من المعروف أن مفهوم العاملية في النحو التوليدي يندرج في إطار يتلاءم مع ما طرحه تشومسكي في نماذجه الأخيرة. إن العاملية ليست في أصلها شيئا آخر غير العلاقة البنيانية المحققة بين رأس تركيب ما والمقولات التركيبية الخاضعة[80]

فهذا التعريف للعامل يوحي بأنه متشابه بشكل ما لمفهوم العامل في النحو العربي رغم الاختلاف بين التصورين. فالتحليل النحوي عند التحويليين يكاد يتجه إلى تصنيف العناصر النظمية وفقا لوقوعها تحت تأثير عوامل معينة ينبغي على الدارس أن يعرفها ابتداء. وتكاد المصطلحات التي يستعملها التحويليون لا تختلف عن كلام العرب القدماء.

ثانيا: تقارب النحو العربي والنحو التوليدي في مستوى المصطلحات:

ولنأخذ الأمثلة التالية عن المصطلحات التي يستعملها التحويليون والتي لا تختلف عن كلام النحاة العرب القدماء. فتعبيرات Langacker "in the scope of" ليست بعيدة

---

[78] – جعفر دك الباب:نظرية الإمام الجرجاني وموقعها في علم اللغة الحديث. مطبعة الخليل دمشق.ط1 1980 ص 120.

[79] – زكي حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة ص 50 .

[80] – مصطفى غلفان: اللسانيات العربية ص 145.

عن تعبيرات النحو العربي عن العامل. وإذا أخذنا مثالا قدمه حلمي خليل في كتابه النحو العربي والدرس الحديث فهو علق بأن الجملتين تتفقان في مجال كلمة Likely أي أن هذه الكلمة باعتبارها عاملا تؤثر في نظم الكلام حتى يؤدي دلالة معينة. وتعبير in the scope of ليست بعيدة عن التعبيرات التي جاءت في النحو العربي[81]

نظرية العامل بين الخليل وتشومسكي:

عرف الخليل نظرية العامل كما هي متداولة في النحو التوليدي التحويلي وأدرك أهميتها قبل تشومسكي. وهذا ما حاول أن يثبته أحد باحثي علوم اللسان التراثية. فقد ذهب حسام البهنساوي إلى أن النحاة اهتدوا على حد زعمه إلى إدراك قدرة التفاعل والتأثير بين مكونات التركيب النحوي بعضها مع بعض[82] واستأثرت آراء الخليل بن أحمد باهتمام خاص عند هذا الباحث. فإذا كان تشومسكي قد فطن لأهمية العامل بعد تطورات متلاحقة لنظريته التوليدية فإن الخليل قد أدرك ذلك منذ أمد دون حاجة إلى تغيير أو تطوير. وهذا ما نفهمه من محتوى هذا النص. إذا كانت هذه النظرية وهي تمثل الكفاءة التوليدية المثلى التي توصلت إليها التوليدية التحويلية بعد جهد وعمل ومثابرة امتد إلى ما يقرب من ربع قرن فجاءت نظرية العامل في نهاية المطاف لتكلل هذا الجهد وتلك المثابرة فإن الخليل بن أحمد قد أدرك أهمية العامل وقدرته قبل ألف عام أو يزيد، وأنه أدرك أهميته منذ البداية في دراسته للأصوات. ومن ثم فإن تشومسكي وإن كان قد

---

[81] – حلمي خليل: النحو العربي والدرس الحديث ص 148.

[82] – عبد الغفار حامد هلال: علم اللغة بين القديم والحديث ص 68.

انتهى بنظرية العامل فإن الخليل قد ابتدأ بها[83] دون أن يكون في حاجة إلى تطوير أو تعديل. فهو يعتبر من أوائل النحاة الذين أدركوا فكرة العامل وأولاها الأهمية والاعتبار. فقد جاءت هذه الفكرة في أغلب الظن من ملاحظاته ذلك التفاعل بين الحركات والحروف، والحركات والكلمات. مما جعله يطمئن إلى أن هذه الظواهر اللغوية سواء أكان منها ما يتصل بالبناء أم ما يتصل بحركات الكلام ترجع إلى هذا التأثير الكافي في طبيعة الحروف والكلمات. والذي لا شك فيه أن نظرة الخليل إلى العامل كانت في ضوء تذوقه الحروف ومراقبته الكلمات في ثنايا التأليف، وملاحظته التفاعلات اللغوية بين الأصوات والكلمات[84] وبالنسبة للدراسات الصوتية فيبدو التماثل ظاهرا بين الخليل واللسانيات الحديثة. فقد عرف قيمة الدراسات الصوتية وصلتها باللغة. فرتب الحروف الهجائية على نحو صوتي من الحلق والفم والشفتين، وبين مواطن إخراج الحروف من حلقية وشجرية وأسنانية ونطعية وذلقية وشفوية. وقد حدد مخرج كل حرف على وجه دقيق. ثم بين صفاتها وخصائصها. وهو عمل لا ينهض له إلا المتخصص والباحث الذي يرجو من وراء بحثه ثمرة في دراسة اللغة. أما الترتيب الأبجدي فهو من سمات المبتدئين[85] كما يعد تلميذ الخليل سيبويه من رواد اللسانيات التراثية، فجعل علمه ورثه عن الخليل. فلذلك فالتقاطع بين آرائه وآراء تشومسكي تحضر في أكثر من مستوى

---

[83] – حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي ص 60.

[84] – عبد الغفار حامد هلال: علم اللغة بين القديم والحديث ص 68.

[85] – عبد الغفار حامد هلال: علم اللغة بين القديم والحديث ص 68.

إن يقيم الباحثون في علوم اللسان التراثية ماثلة ظاهرة بين مفهوم البنية العميقة والبنية السطحية عند تشومسكي وبين ما يسميه سيبويه حذف المبتدأ. يقول رمضان عبد التواب: وانظر إلى سيبويه يتحدث عن حذف المبتدأ فيقول: هذا باب يكون المبتدأ فيه مضمرا ويكون المبني عليه مظهرا، وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبد الله وربي. فكأنك قلت: ذاك عبد الله أو هذا عبد الله. فجملة: عبد الله وربي هي التركيب الظاهر والتركيب المقصود فيها هو ذاك عبد الله وربي. تماما كما يرى التحويليون[86] وقد قدم سيبويه في كتابه وصفا دقيقا لأصناف الكلام. وهو تصنيف يتفق مع ما جاء به تشومسكي. إذ يرى أحمد سليمان ياقوت أن اعتماد سيبويه في تصنيفه الكلام على أسس نحوية تركيبية كما هو الحال عند تشومسكي وأتباعه أمر لا يخفى على كل ذي نظر وبصر بآراء سيبويه وأقواله. حيث إن الكلام المستقيم في نظره هو الكلام المركب أو المبني وفق الأصول اللغوية النحوية، والكلام المحال هو الكلام الذي ينحرف عن الأصول من حيث إن تركيبه أو بناءه لا يراعي القواعد التركيبية النحوية[87] وهناك مماثلة بين ما يسميه تشومسكي النحوية والمقبولية وهو ما يماثيل عند سيبويه مفهوم السليقة. فاعتماد سيبويه على سليقة العربي السليمة هو اعتماد على كفاءة هذا العربي ومقدرته اللغوية الصحيحة. وتمثل هذه الكفاءة اللغوية المعرفة الضمنية لدى المتكلم بقواعد اللغة. والتي تتيح له إنتاج الجمل على النحو الذي نجده عند

---

[86] – أحمد سليمان ياقوت: الكتاب بين المعيارية والوصفية. دار المعرفة الجامعية. ط1 1980. ص 93.

[87] – أحمد سليمان ياقوت: الكتاب بين المعيارية والوصفية ص 54.

تشومسكي. وأن اعتماده على نطق الأعراب البدويين سواهم هو اعتماد على إدراكهم الكلامي. واعتداده بقواعد هذا الكلام المنطوق والأداء الفعلي الصحيح يأتي هذا الاعتداد متفقا مع ما حدده تشومسكي من قواعد الأداء اللغوي أو الكلام المنطوق الذي يأتي متفقا مع قواعد الكفاءة اللغوية أو مختلفا عنه[88]

نماذج من علماء علوم اللسان العربية التي قاربت بحوثهم الفكر اللساني الحديث:

ابن جني وسطوع نجمه في الدراسات الصوتية:

نعلم أن ابن جني من علماء اللغة الأفذاذ الذين قدموا خدمات جليلة للدرس اللغوي العربي. وقد جاءت دراساته تحمل الكثير من نبض علم اللغة الحديث، إذ نجد لابن جني نظرات ثاقبة ومنهجا محكما في البحث. فقد عمد إلى تنظيم الدراسة اللغوية تنظيما دقيقا معتدا على المنطق والعقل في التحليل. كما تطرق إلى جوانب متعددة من مستويات الدراسة اللغوية: صوتية، صرفية، نحوية، دلالية، بلاغية، عروضية...وهو في جل تجلياته ونظرياته يوافق إلى أبعد الحدود منهج اللسانيين المحدثين[89] ومن أبرز مجالات الدرس اللغوي التي سطع فيها نجم ابن جني مجال الدراسات الصوتية، حيث اتسمت جهوده بالدقة والوضوح. ولنبدأ بتعريفه للغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم في إشارة واضحة إلى أن وظيفة اللغة هي التواصل. لأنه يتفق مع غالبية

---

[88] – أحمد سليمان ياقوت: الكتاب بين المعيارية والوصفية ص 47، 50.

[89] – بوشتي العطار: النظرية اللغوية عند ابن جنيفي ضوء منهج اللسانيات الحديثة. دار طوبقال الرباط ط2 1987. ص 17.

علماء اللغة المحدثين الذين يرون أن وظيفة اللغة هي التعبير أو التواصل أو التفاهم[90] ويشير أحد الباحثين فيتحدث عن وظيفة اللغة التواصلية التي ذهب إليها ابن جني. وكأن الإجماع واقع عليها في اتجاهات البحث اللساني الحديث. وإلى الرأي نفسه يذهب الراجحي يقول: ونقطة التغيير هذه التي يضمنها ابن جني تعريفه للغة... يمكن فهمها على أنها التوصيل أيضا[91] فوظيفة اللغة عند ابن جني والمتمثلة في التوصيل أو التعبير تتفق في نظر حسام الدين والراجحي مع تعريف اللسانيين ولا تختلف عنه في شيء وفي اتصال بهذا الرأي يذهب زكريا إلى أن تعريف ابن خلدون لا يختلف عن تعريف اللسانيين[92] ذلك أن ابن خلدون اهتدى إلى قصد اللسانيين من تعريفاتهم والمتمثل في التمييز بين اللفظ والمعنى. إذ إن اللغة إثبات أن اللفظ كذا لمعنى كذا والفرق في غاية الظهور[93] وقد أشار باحث آخر إلى العلاقة الوطيدة بين اللغة والمجتمع من خلال الجمع بين رأي ابن جني وابن خلدون إذ يقول: لقد فطن ابن جني وغيره من علماء المسلمين مثل ابن خلدون إلى ارتباط اللغة بالمجتمع. فبينما يستخدم ابن جني في تعريفه كلمة "قوم" نجد ابن خلدون يستعمل كلمة "أمة"[94] وهما كلمتان ترادفان كلمة مجتمع أو الجماعة اللغوية بالمعنى الحديث في نظره. وخلاصة رأي الباحثين في علوم اللسان

---

[90] – كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة. عالم الكتب القاهرة.ط2 1985. ص 91.

[91] – عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية. دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1988. ص 71.

[92] – ميشال زكريا: الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون. دراسة ألسنية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ط1 1983. ص 11.

[93] – ميشال زكريا: الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون ص 12.

[94] – كريم زكي حسام الدين: أصول ترتثية في علم اللغة ص 78، 79.

التراثية أن العلماء العرب قد جمعوا في تعريفاتهم عددا من المسائل التي تماثل ما نجده عند اللسانيين وتكاد تقاربهم من حيث الكمية وهذه المسائل هي (اللغة عبارة عن أصوات، اللغة تتألف من كلمات، اللغة وسيلة التعبير عن أغراض القوم، اللغة تتنوع وتختلف باختلاف أصحابها، اللغة مواضعة واصطلاح، اللغة وضعت للدلالة على المعاني، أصوات اللغة محدودة متناهية وكذا مفرداتها، الاصطلاح قائم بشكل أو بآخر ضمن اللغة، تكون كلمات اللغة قائمة على مستويين: مستوى الأصوات ومستوى الكلمات، اللغة فعل لساني، اللغة ملكة لسانية، الغة عملية مقصودة بذاتها، اللغة ميزة إنسانية مكتسبة)[95]

يظهر هذا الحصر للمسائل التي ذكرها العلماء العرب في تعريفاتهم للغة أنها تماثل إلى حد كبير ما ذكره علماء اللغة الغربيون من مسائل مختلفة للغة، وهذا يؤكد في نظر الباحثين في علوم اللسان التراثية مدى إحاطة العلماء العرب القدامى بمفهوم اللغة وإدراكهم للعديد من المسائل الهامة التي تختص بها اللغة – أية لغة – وأن الفروق يسيرة للغاية فيما بينهم وبين العلماء الغربيين على الرغم من البعد الزمني الكبير وقلة وسائل البحث واعتماد العلماء العرب على إمكانات ذاتية خاصة تتمثل في عمق إدراكهم وثاقب نظرهم. تلك الإمكانيات والقدرات ينبغي أن تبعث فينا الحافز والهمة من أجل إبراز هذه الجهود العظيمة لتحظى بالمكانة اللائقة التي تستحقها[96] وبالعودة إلى ابن جني

[95] – حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ص 18، 19.

[96] – حسام البهنساوي: أهمية الربط ص19.

فإنه قد استطاع بعقله ودراسته العلمية الصحيحة أن يقيم عمد الدراسة العلمية اللغوية، وأن يوطد أركان علم اللغة بدراسته للصوتيات. وسبق الأوربيين في ما وصل إليه من نتائج في هذا الباب كأصوات اللين ومقاييسها التي جاء بها دانيال جونز الأنجليزي. ومعرفته للفونيم ونظريته قبل هذا العالم الأوربي. كما وصل إلى نتائج قيمة في دراسة اللهجات وطرق انقسامها وأسبابه ونتائجه وحين يتلاقى العربي مع أخيه وحين تفرق بينهما عوامل البيئات الصحراوية والحضرية وذلك واضح في أهم كتبه الخصائص وسر صناعة الإعراب[97].

فما توصل إليه ابن جني في نظر الباحثين في علوم اللسان التراثية يدعو إلى الفخر لأنه يماثل من نواح عدة أبحاث الصوتيين المعاصرين. وهذا ما حاول أن يثبته كمال بشر إذ يقول: ولسوف يفخر الإنسان حين يعلم أن ابن جني قد استعمل في كتابه سر صناعة الإعراب المصطلح علم الأصوات للدلالة على دراسة الأصوات والبحث في مشكلاتها المختلفة على نحو ما جاء به الدرس الصوتي الحديث يقول: ولهذا العلم – علم الأصوات والحروف – تعلق ومشاركة الموسيقى لما فيه من صيغة الأصوات والنغم. وفي ظننا أن هذا المصطلح بهذه الصورة وهذا التركيب قد جاء سابقا للمصطلح الأوربي المقابل له وهو PHONETICS [98] ولم يكن ما توصل إليه ابن جني بمحض الصدفة التي تحدث في بعض مجالات البحث اللساني، بل كان نتيجة لمنهجيته الدقيقة

---

[97] – عبد الغفار حامد هلال: علم اللغة بين القديم والحديث ص 55.

[98] – كمال بشر: التفكير اللغوي بين القديم والحديث. دار المعارف مصر. ط2 1971. ص229.

في البحث والتي لا تقل شأنا وسلوكا عن طريق المحدثين في دراسة اللغة. فهو يجمع بين المادة اللغوية ويبدأ في مناقشتها ثم بعد استيفائه البحث فيها يستنتج منها القوانين التي تحكم الظاهرة اللغوية التي يتحدث عنها[99] كما أن طريقة ابن جني في معالجة الأصوات تشبه إلى حد بعيد منهج اللسانيين المحدثين، فقد تطرق إلى مضمون عدة مصطلحات كالفونيتيك والمورفونولوجي الفونيم... بالتحليل والتشريح، كما أن تحليلاته تنطبق على مجموعة من اللغات الإنسانية[100] إلى جانب الاهتمام الذي أولاه ابن جني للدراسات الصرفية، يجد الباحثون في علوم اللسان التراثية في بحوث ابن جني أوجها أخرى للتماثل مع بعض فروع الدراسات اللسانية الأخرى فقد تحدث عن اندماج علوم اللغة وامتزاجها في الباب الذي عقده لمقاييس العربية. فهو يطبق المزج بين الحالات الصرفية والنحوية حيث يقول: ألا تراهم (العرب) يعلون المصدر لإعلال فعله ويصححونه لصحته، وذلك نحو قولك: قمت قياما وقومت قواما. فإذا حملوا الأصل الذي هو الفعل فهل بقي في وضوح الدلالة على إيثارهم تشبيه الأشياء المتقاربة بعضها ببعض شبهة. والتداخل الأخير هو الذي يطلق عليه اللسانيون مصطلح MORPHOSYNTAX

[99] – عبد الغفار حامد هلال: علم اللغة بين القديم والحديث ص 90.

[100] – بوشتي العطار: النظرية اللغوية عند ابن جني ص 56.

عبد القاهر الجرجاني بين البنيوية والوصفية والتوليدية التحويلية:

أولا: الجرجاني واللسانيات البنيوية: لا يتردد الباحثون في علوم اللسان التراثية في القول بوجود تماثل واضح بين المنهج الذي ارتآه دي سوسير وما جاء به عبد القاهر الجرجاني من أفكار رئيسية. ذلك أن فكرة النظم هذه تعتمد في أساسها على اتباع قواعد النحو من حيث وضع الكلام في مواقعه ومن حيث النظر في العلاقات بين وحدات التركيب ومدى موافقة ذلك لقواعد النحو. وهنا يبرز الشبه بين ما قرره عبد القاهر وما ارتآه دي سوسير من النظر الأفقي للتراكيب أو النظر السانتاغماتي والنظر الرأسي أو الباراديغماتي عند سوسير يناظر فكرة الاختيار عند عبد القاهر التي هي جزء مكمل لفكرة النظم. حيث إن النظم الصحيح إنما يكون باختيار العنصر اللغوي (الكلمة أو جزء الكلمة) المناسب لموقعه في التركيب.

ولا تقف المقارنة عند حدود التشابه والتناظر بين الجانبين بل نجد من لسانيي التراث من يقول بتفوق الجرجاني على سوسير في فكرة الاختيار نفسها، فهي أوسع عند الجرجانل منها عند دس سوسير. كما يظهر من استعمال اسم التفضيل أوسع. ويكمن تفوق الجرجاني في:

1- اختيار الصيغ المفردة المناسبة للتركيب المعين، وهذا هو ما يشبه النظر الرأسي عند دي سوسير.

2- اختيار التراكيب. أي تفضيل تركيب على آخر يؤديان معنى عاما واحدا متقاربا، ولكن أحدهما أفضل لملاءمته المقام. وهذا النوع الثاني لا شأن لسوسي ربه إطلاقا. لأنه من أعمال البلاغيين أو رجال الأسلوب. هذا بالإضافة إلى أن عبد القاهر يختلف عن البنيويين في اهتمامه بالعوامل الخارجية للنص والمتمثلة في السياق اللغوي أو المقام الذي يعد ركيزة البحث البلاغي عند العرب. ولم تقتصر المقارنة على علاقة الجرجاني بسوسير بل تعدت ذلك إلى المدارس البنيوية الحديثة كالبنيوية الوظيفية. فقد أشار الجرجاني إلى أن القصد من الكلام هو إعلام السامع شيئا جديدا لا يعلمه. وتشير المدرسة البنيوية الوظيفية إلى ان الجملة الخبرية كوسيلة للاتصال يجب أن تعلم السامع ما يعتبر بالنسبة له جديدا في الموقف أو المقام الراهن. كما يلتقي الجرجاني مع حلقة براغ من جهة اعتبار اللغة أداة للتواصل. فمن أبرز سمات هذه المدرسة الجديدة اعتبار اللغة أداة الاتصال في المجتمع والأدب. ولهذا نجدها قد وجهت اهتماما خاصا للجانب الوظيفي من دراسة اللغة وتذوقها الأدبي.

الجرجاني التوليدي:

تحضر جوانب التماثل والتشابه بين عبد القاهر وتشومسكي في لسانيات التراث في جوانب كثيرة منها:

التوليد: تحدث عبد القاهر عن التوليد عندما تطرق إلى مسألة النظم وهذا معناه أن تشومسكي لم يأت بفتح جديد في هذا المجال كما يستفاد من قول رمضان عبد التواب: أما فكرة التوليد وإنتاج عدد غير متناه من الجمل بناء على القواعد الراسخة في عقل الجماعة المتكلمة بلغة ما فإنها فكرة لم تكن غائبة عن ذهن نحاة العربية القدامى. وهذا هو عبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم المعروفة في التراث النقدي العربي يقول: وإذا عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها. ثم اعلم أن ليست المزية بواحدة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض.

القدرة: اهتدى عبد القاهر إلى مفهوم القدرة compétence وكان سباقا إلى إبراز المقصود بهذا المفهوم، وأدركه على وجه الدقة " إن القدرة اللغوية التي تمثلها الكفاءة الذاتية الكامنة التي يمتلكها كل متكلم أو مستمع جيد للغته، والتي من شأنها أن تسمح لصاحبها بتوليد عبارات وجمل لا نهائية. والتي تعد من أساسيات النظرية التوليدية

التحويلية. لم تكن هذه القدرة بخافية كذلك عن إدراك عبد القاهر أو عن إدراكه لمدى أهميتها فهو يقول: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منه." يميل محمد عبد المطلب إلى الطرح نفسه حين يقول: يكاد عبد القاهر وتشومسكي يتفقان في أن المتكلم يمتلك قدرة لغوية أتيحت له عن طريق النحو تسمح بتوليد عبارات لا نهائية. ذلك أن معاني النحو عند عبد القاهر تقوم على فروق ووجوه ليس لها غاية تقف عندها ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها وكلها من إبداع صاحب اللغة الذي يتوخى معاني النحو فيما يقول وبالمثل رأي تشومسكي أن المنهج الرياضي الذي يؤكد ميكانيكية التركيب يساعد على وجود أنماط لا نهائية. وليست المسألة مجرد تلاحم بين الصيغ أو رصد كلمات، وإنما يجب أن نضع في الاعتبار دائما الصلات المعقدة متجاورة كانت أو غير متجاورة.

إن الاختلافات النظرية والمنطلقات المنهجية لم تكن لتحجب بحسب هذا الباحث التماثل بين الرجلين والاتفاق في النتائج المتوصل إليها. فقد كان هم تشومسكي موجها إلى ربط اللغة بالجانب العقلي في محاولة توفيقية لحل الإشكال نفسه الذي سبق أن واجه عبد القاهر. وقد تبلور جهد كل منهما في إعطاء النحو إمكانات تركيبية مستمدة من قواعده العقلية. بحيث أصبحت هذه الإمكانات أشبه شيء بصندوق مغلق له مدخل ومخرج.

تدخل فيه المفردات وتتداخل ثم تخرج على الصورة التأليفية. ونحن لا نلمس سوى المظهر المادي للعملية، أما الجانب العقلي فهو خفي داخل الصندوق.

النحو: نقلت النظرية التوليدية منهج الدراسة اللغوية من دراسة اللغة إلى دراسة النحو. فقد ركز تشومسكي على اعتبار اللغة كيانا ذهنيا وهذا ما نبه له الجرجاني بحسب عبد المطلب الذي يرى أن مفهوم النحو الجرجاني يأخذ شكلا عقليا كما هو عند تشومسكي وليس مجرد وسيلة اتصال تستعين بها اللغة في أداء وظيفتها الأساسية. وهذا الشكل العقلي هو الذي أتاح إمكان رصد الطاقات النحوية الفعالة. ولوحا إلى القيمة الحقيقة لعملية التوالد الجملي عند الرجلين. وإن كان تشومسكي قد بدأ بالجملة وصولا إلى المفرد في حين بدأ عبد القاهر بالمفرد وصولا إلى الجملة.

التفسير: لم تكن فكرة التفسير بعيدة عن إدراك عبد القاهر ووعيه. فقد نحا بقواعد اللغة منحى عقليا شأنه في ذلك شأن النظرية التوليدية التحويلية مع رائدها تشومسكي الذي يؤكد أن الشغل الشاغل هو تحدد صياغة القواعد اللغوية التي تمثل ذلك النظام الذهني. فالقواعد إذن هي موضوع الدارسين والعلماء في هذه النظرية.

البنية العميقة والبنية السطحية: أدرك عبد القاهر الجرجاني إدراكا دقيقا التمييز بين البنية العميقة والبنية السطحية، بل أجاد في ذلك أيما إجادة عندما جعل النظم وهو ما يطلق عليه البنية العميقة في النظرية التوليدية التحويلية، جعله يقتفي في نظمه آثار المعاني وترتبها على حسب المعاني في النفس.

ويؤكد البهنساوي أساسية هذا الرأي بالقول: القواعد التحويلية ودورها الهام في إلقاء الضوء على الأبنية السطحية النحوية المنطوقة. تلك القواعد الفاعلة والتي تستعين في عملية التحويل للأبنية العميقة بالمكونات التركيبية والدلالية والفونولوجية، لم تكن هذه القواعد بعيدة عن إدراك عبد القاهر حيث عرضها في كتابه القيم "دلائل الإعجاز" وبين دورها الفعال في إلقاء الضوء على التراكيب النحوية. وتزيد إحدى الباحثات هذه الفكرة تأكيدا بقولها: لقد أدرك علماؤنا وعبد القاهر الجرجاني من بينهم على وجه التحديد حقيقة المستوى العميق للبنية اللغوية التي أول ما تقوم عليه هو مبدأ التعلق بين أجزاء الكلمة. يقابل ذلك ما قال به تشومسكي بالبنية العميقة ليؤكد كل منهما على وجوب امتلاك المتكلم مقدرة لغوية يكتسبها عن طريق النحو تسمح له بإنشاء عبارات لا منتهى لها عند تشومسكي. أما عند عبد القاهر الجرجاني فمقيدة بمعاني النحو القائمة على فروق ووجوه كثيرة للكلام يتحكم بصورها مقدرة المتكلم وكفايته اللغوية. ويرى كلاهما أن الجملة التي تولدها القواعد النحوية يجب أن تكون مقبولة من أبناء اللغة. وبكل ذلك يكون الإدراك العقلي الممثل للمستوى العميق عند عبد القاهر يقابل مستوى البنية العميقة عند تشومسكي.

إن الاتفاق بين عبد القاهر وتشومسكي لا يقف عند حدود تماثل مواقفهما في الكثير من قضايا اللغة ، بل نجد أحيانا سبقا وتفوقا لعبد القاهر على تشومسكي. فقد تنبه الجرجاني لأهمية الدلالة في البحث اللغوي، وهذا ما لم يتنبه له تشومسكي إلا بعد الانتقادات التي

وجهها إليه معارضوه. على خلاف عبد القاهر الذي حسم قضية ربط النحو بالدلالة، وبين أهمية هذا الربط وضرورة اعتماد المكون الدلالي. تلك العلاقة التي تأخرت النظرية التوليدية التحويلية في إدراكها ومعرفة أهميتها إلى ظهور كتاب تشومسكي الثاني " مظاهر النظرية النحوية" والذي ظهر بعد كتابه الأول بعشر سنوات. حيث أدرك تشومسكي ضرورة إدخال المكون الدلالي باعتباره مكونا تفسيريا من أجل إلقاء الضوء على المكونات التركيبية التي يحدث فيها خرق في قواعد تصنيفها الجزئي بخروجها عن قواعدها المألوفة وصورها البنائية الألوفة. من أمثلة التراكيب المجازة على شتى أنواعها والتراكيب الملتبسة التي تحتمل أكثر من مدلول واحد في بنيتها السطحية. لقد حسم عبد القاهر هذه المسألة كضرورة الربط بين النحو والدلالة.

إن عبد القاهر بهذا الربط بين النحو والدلالة يقترب من مدرسة المعاني المولدة Générative semantics school وهي مدرسة تجعل من صفاتها البارزة الاهتمام بالمعنى إلى جانب النحو في التحليل اللغوي. مما مهد إلى قيام بعض اللغويين مؤخرا من أمثال ماكولي (Macwalay) وغريدي (Grady) بتوجيه نفس الدعوة التي وجهها الجرجاني ألا وهي ضرورة المزج بين علم النحو وعلم المعاني في التحليل اللغوي، وإعطاء المعاني أهمية بارزة أكثر مما يعطي لها في مدرسة المعاني المولدة. وقد أولى غريدي المعاني أهمية بالغة حتى إنه اقترح اسما جديدا للتحليل اللغوي أطلق عليه علم المعاني Semantics مما يزيد القرابة بينه وبين الجرجاني.

المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية:

هذه النظرية تنسب إلى العالم اللغوي الشهير الخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي يعد بحق أب اللسانيات العربية التراثية، وهو ما حاول عبد الرحمن الحاج صالح أن يُؤَصِّل للفكر اللغوي العربي القديم من خلاله، فعكف على دراسة آرائه وآراء أحد تلامذته وهو سيبويه. وذلك لإيمانه بوجود نظرية دقيقة في أصولها ومفاهيمها في النحو العربي الأصيل، ولكي تتضح لنا هذه الحقيقة " لابد من إعادة قراءة التراث الذي تركه لنا أوائل النحاة ليس على ضوء النظريات اللسانية الحديثة فقط، وإنما بدراسة ابستمولوجية دقيقة لمفاهيم النحاة، وتصوراتهم، وطرق تحليلهم، وبدون إسقاط أي تصور آخر لتصور النحاة العرب المتأخرين، أو تصور الغربيين عليها "[101].

ولقد أعاب عبد الرحمن الحاج صالح على الوصفيين تلك الانتقادات التي وجهوها إلى التراث النحوي العربي القديم، وذلك " لأن النحو العربي قد وضع على أسس ابستمولوجية مغايرة لأسس اللسانيات البنيوية، وخصوصا في المبادئ العقلية التي بنيت عليها تحليلاته، هذا وليس الاختلاف متوقفا على هذا الجانب فقط، بل هناك أيضا اختلاف آخر في النظرة إلى البحث باللغة نفسه، وتدوين الكلام من أجل التحليل".

وكان رواد اللسانيات الوصفية من الباحثين العرب المحدثين قد انتقدوا نظرية العامل والتعليل النحوي، فرأى عبد الرحمن الحاج صالح " أن البحث الصحيح عندهم تصوير

101 - عبد الرحمن الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللغوية الإنسانية. ندوة اليونيسكو الرباط 1987. ص 373.

للظاهرة ورسم لها، ولذلك فإن السلوك اللغوي عندهم هو ما ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار في المشاهدات والعمليات الوصفية، وأمّا ما توارى من الظواهر، وما لا يمكن أن يلاحظ في ضمن هذا السلوك، فيجب ألا يعد به لغيابه عن الحواس. وهذا من أثر المذهب التجريبي المتطرف "[102].

وكان، كما رأينا سالفا، الوصفيون قد تحاملو كثيراً على تعليلات النحاة ووصفوها بعدم العلمية وبالفساد. يقول أنيس فريحة: " كل رأي في تعليل الظواهر اللغوية، لا يخرج عن كونه رأيا، أو حدسا أو تخمينا. وعندما ندخل في نطاق الحدس والتخمين نخرج من نطاق العلم الذي هو موضوعي". ويقول محمد عيد: " والتعليل المنطقي إذا لا يصلح وسيلة علمية في اللغة بخاصة والظواهر الاجتماعية بعامة ".ورفض عبد الرحمن أيوب التعليل ورأى وجوب " تسجيل ظاهرة الإعراب والبناء دون تعليل لها "[103]

وقد ذهب إبراهيم السامرائي" إلى أن التعليل من أساسه شيء غريب في المادة اللغوية النحوية، وهو يتناقض كل التناقض والمنهج الجديد المبني على الوصف".

ويقول تمام حسان بعد أن نقد نظرية العامل والتعليل: " نرجو أن تكون قد بيّنّا فساد العامل في النحو، بل فساد التعليل الذي هو أصل العامل".

فهبّ عبد الرحمن الحاج صالح للدفاع عن التعليل النحوي، وسفّه آراء دعاة المنهج الوصفي مؤكدا " أن التعليل هو أيضا من مميزات المعرفة العلمية رغم ما يزعمه

102 - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان ج1ص 18، 19.

103 - عبد الرحمن أيوب: دراسات نقدية في النحو العربي ص 29.

أصحاب المذهب المذكور، إذ كيف يقتصر العالم على الملاحظة، وعلى الوصف، ويترك الإجابة عن أهم سؤال يُلقيه على نفسه، وهو السؤال عن كيفية خروج النسب والقوانين والأنظمة إلى الوجود[104]

ويواصل انتقاداته بقوله: " وكذلك نبذوا كل منهج تعليلي، فرجعوا بذلك إلى الوراء، أي إلى نوع من الوصف البدائي، يكتفي بتصوير ما يشاهده، تصويرا شمسيا، وتركوا الأمور الجوهرية التي تنحصر في إقامة النظائر، والكشف عن النسب، والعلاقات العميقة، وبيان الأسس والعلل البنوية، كما رفضوا حق الباحث في الافتراض – وأحوج شيء إلى هذا هو العلم – ظنا منهم أن الأحداث والظواهر قادرة هي بنفسها – وبدون أن يتدخل فيها الباحث – على أن تطلعنا على أسرار حدوثها، وأسباب مجاريها وتحولاتها، وهذا قد كذبته العلوم التجريبية الحديثة التي لا تكتفي بالوصف الساذج، بل تتجاوزه إلى البحث عن الأسباب، ببناء النماذج والمثل الرياضية اللائقة، ثم تجرى على فروضها التجارب، حتى إذا تم بها تصحيحها صارت بذلك حقائق ولو مؤقتة، أو تبطلها إذْ أبطلها الاختيار..."ومعنى ذلك أنّ عبد الرحمن الحاج صالح يقبل التعليل ويدافع عنه.

وكان الوصفيون قد تأثروا بالمذهب الإيجابي الذي أرسى دعائمه أوجيست كونت في أوروبا، هذا المذهب الذي ينكر مبدأ التعليل في البحث العلمي، بل ويعتبر العلة كمفهوم ميتافيزيقي محض، وقد سمى هذا المذهب بالايجابية" لأن أتباعه تعلقوا بمشاهدة ما يمكن مشاهدته على ما يزعمون، وتركوا ما يعدونه سالبا غير موجب، وهو البحث عن

104- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان ج1 ص 29، 30.

الأشياء الكامنة وأسرار الظواهر، ومما دعا إليه (كونت A. Compte) هو التمسك بظاهرة الحدوث وتتبع صيرورته من دون أن يلتفت إلى أسباب هذه الصيرورة ".

ولأن عبد الرحمن الحاج صالح أراد الدفاع عن التعليل، فإنه أراد أن يرد على هذا المذهب المغالى، وذلك من خلال وجهين[105]:

- **الأول :** هو أنه لا يتحقّق أن تكون العلّة من المفاهيم الخاصة بالفلسفة العامة، فزيادة على ثبوت استعمالها كمفهوم تحليلي على يد أكبر العلماء خصوصا بعد أن قال (كونتA. Compte .) كلامه فقد ثبت أيضا بإجماع علماء الفيزياء والأحياء وغيرها أن استنباط العلاقات اللازمة بين الأحداث، وإن كان أمرا يدعو إليه المنهج العلمي ليس كل العلم. وإن اكتفى الباحث بالملاحظة الاستقرائية، وإثبات هذه العلاقات، وترك التفسير العلمي لها، والتوجه العقلي المنتظم، فقد أضاع نصف العلم.

- **والثاني :** هو أن (كونت A. Compte) لم يتبين عنده جيدا مفهوم العلة، كما يفهمه العلماء المحدثون، فقد تناسى أن التعليل العلمي الحقيقي هو أن نبين كيف تنتج القوانين بعضها من بعض، لأن هذا التعليل يهتم بالنسب لا بالأحداث كأحداث بحته، وعلى هذا يمكننا أن نثبت عللها، أي أسباب وجودها وحدوثها، لأنه إذا توصلنا إلى بيان كيفية تفرع القوانين بعضها من بعض. فقد بينا بذلك كيفية خروجها إلى الوجود أي عللها وأسبابها بالمعنى العلمي.

وهذا قد وضحه العلماء أنفسهم إذ قالوا: إن التفسير العلمي هو في الحقيقة سلسلة من

105- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان ج1 ص 18.

العمليات الاستنتاجية والاستنباطية يجريها الباحث في نفس الوقت على رموز القوانين المجردة وعلى أعيانها المشخصة. فكلما أفضى به الاستنتاج إلى إثبات قضية ما باللزوم العقلي المحض، وتبيّن له في الوقت نفسه ثبوت ما يناسبها في الواقع المحسوس، فقد كشف بذلك عن علتها وسر وجودها، لأنه بفضل ما يجده من انسجام بين ما يفرعه من القضايا على القوانين المجردة (المصوغة بصياغة رياضية)، وبين ما يفرعه من النتائج المحسوسة على مشاهداته للواقع يكون قد حول" المنقول إلى معقول"، أي ما هو منقول إليه بواسطة الحواس إلى ما هو معقول فبين معللا، (وكل معقول فهو معلل بهذه الكيفية) تستسيغه بديهية العقل، ويطمئن له الفكر. فهذا هو التفسير العلمي المنتظم[106].

ومعنى ذلك أن عبد الرحمن الحاج صالح يؤكد أن التعليل هو أيضا من مميزات المعرفة العلمية، ويدحض بذلك آراء المذهب الإيجابي الذي تزعمه (كونت Compte)، ويوضح ذلك بطرحه لهذا الاستفهام الإنكاري" إذ كيف يقتصر العالم على الملاحظة والوصف ويترك الإجابة عن أهم سؤال يلقيه على نفسه، وهو السؤال عن كيفية خروج النسب والقوانين والأنظمة إلى الوجود؟ ".

وفي إثباته لظاهرة التعليل قد سفّه عبد الرحمن الحاج صالح آراء البنيويين بقوله: " فإذا عمد اللغوي إلى وصف للغة من اللغات فلا يصح أن يوصف هذا الكلام، أو ذاك بأنه ينتمي إلى العربية أو الإنكليزية، إلا إذا خضع المأخوذ عنه لقوانينها الأساسية وأصول تأديتها، أي لمواضعات أصحابها، فالمعيار هاهنا هو نفسه ظاهرة، ويجب أن لا يُهدر

106- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان ج1 ص 29.

كظاهرة "[107].

فالمعيارية التي كانت طاغية في النحو القديم تعتبر ظاهرة، وهو عبارة عن شيء قد تجاهله الوصفيون، وهو أن اللغة ليست فقط نظاما من الأدلة المسموعة بل هي، زيادة على ذلك، قوانين وأصول يعمل بها كل من يتكلم بها دون ما شعور (ويشعر عندما يعثر لسانه) .

وهذا هو عين الخلاف بين النحو الأوروبي التقليدي، واللسانيات البنيوية، إذ تمتنع البنوية من النظر في القواعد لأنها تفرض، في نظرها، معيارا مُعيّنًا. وفي هذا الموقف يكمن سبب السكون المهول الذي تتصف به هذه النزعة، إذ كيف يهدر أهم شيء في اللغة، وهو السلوك اللغوي، أو بعبارة أخرى كيف يترك البحث في الكلام نفسه كفعل من الأفعال التي يتحصل بها نظام اللغة.

نقرأ من كلامه أنّه ينتقد اللسانيات البنوية التي تطرح الاتجاه المعياري من اللغة، فاللسانيات الوصفية " تمسك عن إصدار الأحكام، وعن التقييم، سواء ما كان منه في ذلك تنويها أو تهجينا؛ لأنها لا تستند إلى تصنيفات الخطأ والصواب، ولا إلى مقولة الحسن والقبيح "[108]. ولذلك فقد استفهم منكرا إذ كيف يهدر أهم شيء في اللغة وهو السلوك اللغوي !!؟

وبالموازاة مع ذلك فإنّه يشيد بما قام به (تشومسكي) في مجال اللسانيات من بحوث و

107- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان ج1 ص 219.

108- عبد السلام المسدي: الفكر العربي والألسنية.العدد 04 1981 ص 13.

دراسات " فلابد أن نعترف لهذا الرجل العبقري بالفضل الكبير على اللسانيات، كما لابد أن نلفت نظر الأخوان اللسانيين إلى أنه قد عرف الشيء الكثير عن النظريات والتصورات اللغوية العربية، وذلك من خلال دراسته للنحو العربي الذي وضعه أحبار اليهود في القرون الوسطى، وكذلك من خلال دراسته للأجرومية على أستاذه (روزانتال)، وقد التفت إلى مفهوم القاعدة النحوية، وتفطن إلى أهميتها، لا كمجرد قاعدة تفرض معيارا من المعايير، بل كنمط يكتسبه الطفل بإنشائه إياه شيئا فشيئا من استماعه ومساهمته لكلام محيطه، وهو نوع من الاستنباط الإنشائي (Constructif)، وليس بمجرد تدخل الذاكرة. ثم أرجع لمفهوم التحويل (Transformation) قيمته ودوره، وقد كانت اللسانيات التاريخية ثم البنوية قد نفته تماما من البحث اللغوي. إلا أن النظرية التوليدية التحويلية في الوضع الذي كانت عليه في بداية السبعينات تختلف في أشياء كثيرة عن النظرية العربية القديمة (الأصلية فقط). وذلك كمفهوم التحويل فإن المدرسة التوليدية في النظرية (Standard)، لا تعرف إلا نوعا واحد من التحويل، وهو الذي يربط بين ما يسمونه بالبنية العميقة والبنية السطحية. فهذا نظيره في النظرية العربية هو التحويل التقديري. فكل كلام يحتمل أكثر من معنى – في أصل الوضع – فإن النحاة يقدرون لكل معنى لفظا، وهذا يحصل خاصة عندما يحاولون تفسير الكثير من الأبنية الملبسة أو التي وقع فيها حذف أو التي لم تأت على البناء المتوقع أي بناء نظائرها"[109].

يلحظ أن هناك اتجاهين معاصرين في ضوء اللسانيات الحديثة في النظر إلى العلل

109- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان ج1 ص 215، 216.

النحوية، **أحدهما** وصفي، وهو يدعو إلى الاكتفاء بالعلل الوصفية التي تتفق مع كون اللغة ظاهرة اجتماعية، توصف بذكر خواصها، واطراح ما عداها من علل.

واتجاه ثان تفسيري تبناه عبد الرحمن الحاج صالح، وهو المنسوب إلى النظرية التوليدية التحويلية. فالمعروف أن تشومسكي (Chomsky) يرى من خلال نظرية التوليد أن نموذج نظام اللغة ينبغي أن يشتمل على كفاءتين: **الكفاءة الوصفية**، أي دقة الوصف، **والكفاءة التفسيرية**، وهذا هو الذي يقصده بمفهوم التحويل الذي يربط بين ما يسمونه بالبنية العميقة والبنية السطحية، ومعنى ذلك القدرة على إيضاح التحويل التقديري، ولعل فكرة التعليل تدخل ضمن الكفاءة التفسيرية، وبذلك نجد لها مكانا في المنهج التوليدي الذي أشاد به عبد الرحمن الحاج صالح، بعد أن أباه المنهج الوصفي.

ولا يذهب البحث مذهب أحد المعاصرين في أَنّ " عمل عبد الرحمن الحاج صالح في تتبع علم اللسان متميّز مفيد، لكنه فيما يبدو غير مقنع؛ لعدم ترابطه التاريخي، فكأنه افترض أنّ العالم القديم قبل الحديث كان قرية واحدة تتبادل التأثر والتأثير، وهذا غير مؤكّد، فليس شرطا أن تعرف كل أمة منجزات الأمم السابقة في علم اللسان لتبني عليها، ذلك أن علم اللسان يمكن أن ينمو في عدة بيئات، ويصل إلى نتائج متشابهة، أو متباينة لا تسوغ أخذ أمة عن أخرى إلا بدليل تاريخي قاطع، كما أن اختلاف الوسائل واتحاد النتائج لا يعني التأثر، فمن الصعب إثبات تأثر تشومسكي بأنظار من النحو العربي لمعرفته بنحو العبرية، لأن وسائل البحث المتاحة له الآن تختلف عن وسائل البحث عند

نحاة العربية "[110].

ونحن لا نوافقه الرأي في ما ذهب إليه لأنّ مسألة تأثر تشومسكي بالنحو العربي ناقشها الكثير من الباحثين المعاصرين المتخصصين في الدرس اللساني الحديث، وأكدوها على لسان تشومسكي نفسه في مقابلة له مع مازن الوعر.

يقول تشومسكي: " قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة كنت اشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية، ومازلت أذكر دراستي للأجرومية منذ عدة سنوات خلت – أظن أكثر من ثلاثين عاما– وقد كنت أدرس هذا مع الأستاذ فرانز روزنتال.. وكنت وقتذاك طالبا في المرحلة الجامعية أدرس في جامعة بنسلفانيا، وكنت مهتما بالتراث النحوي العربي والعبري"[111].

وهذه المقابلة تلقاها كثير من الباحثين بالتحليل والمناقشة، فهذا حلمي خليل يتساءل قائلا: " فهل اطلع تشومسكي على النحو العربي ودرسه، كما أطلع على نحو العبرية ودرسه. لن نحتاج إلى الترجيح أو الاستنتاج فهو يؤكد ذلك في مقابلة له مع مازن الوعر.

ويضيف حلمي خليل: " والمستشرق (روزنتال) ([112]) من المستشرقين الذين كانوا يعرفون العربية وآدابها. ومعنى هذا أن تشومسكي كان وثيق الصلة في شبابه باللغة العربية ونحوها، كما كان وثيق الصلة باللغة العبرية – لغة قومه – فهل أثرت تلك

110- حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي بين القداء والمحدثين ص 250.

111- مازن الوعر: لقاء مع تشومسكي مجلة اللسانيات جامعة الجزائر العد السادس 1982 ص 170.

112- فرانز روزنتال والأستاذ تشومسكي، في جامعة بنسلفانية، وهو واحد من المستشرقين الذين كانوا يعرفون اللغة العربية وآدابها، من أهم آثاره: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، وقد نقله إلى العربية أنيس فريحة، عام 1963، وله دراسات حول أساليب التعليم في الإسلام.

المعرفة بالتراث العربي وتكوينه العلمي، ومن ثم ظهرت آثارها بصورة مباشرة، أو غير مباشرة، في نظريته اللغوية ؟ تساؤل – لاشك – له مبرراته العلمية، ومن ثم فهو خليق بالدراسة والبحث ! "[113].

ويجيب بوقرة نعمان بقوله: " ومن هنا يتضح جليا أن تشومسكي تأثر في تكوينه العلمي بالتراث العربي، وبرزت مراحل هذا التأثر بعد هذا سواء بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة، في نظريته".

ويرى رشيد عبد الرحمن العبيدي: " أن المنهج التحويلي التوليدي، منهج أشبه بأن يكون منهج النحو التقليدي العربي، لما اتصف به من الشكلية، والمعايير التي عرفها الدرس اللغوي العربي، فالدراسات العربية، التزمت مثلا وقيما عرفها النحويون العرب، كقواعد الاستبدال، والموقعية والتقديم والتأخير والحذف والزيادة، وتأثير العامل في المرفوع والمنصوب والمجرور والفروع والأصول، وهذه كلها تقترن بالبنية العميقة وما ينطقه مستعمل اللغة العربية.

وبرزت معالم التحويل والتوليد عند العرب في دراسة اللغة في الأساليب البلاغية، وأصول الكلام وعلم المنطق، وعلم الكلام، ولعل الأصوليين والبلاغيين يمثلون – بحق– أسبق المحاولات في دراسة اللغة، من تحويلية تشومسكي، بل يمكننا أن نقول: إن اطلاع تشومسكي على النحو العبري، والنحو العربي، مما ترجم منه عن طريق نحاة الأندلس، يجعل من الممكن أن نفترض تأثر تشومسكي، والمدرسة التحويلية بالدراسات اللغوية

113- حلمي خليل: نظرية تشومسكي اللغوية ص 13.

العربية القديمة "[114].

كلّ ذلك يحيلنا إلى أنّ ما أكده عبد الرحمن الحاج صالح ثابت عضدته بحوث ودراسات المحدثين، وهذا بما لا يدعو إلى الشك والريبة ".

وفي سياق آخر يعيبُ خميس سعيد الملخ على عبد الرحمن الحاج صالح اقتصاره على المنهج التوليدي التحويلي، وحصر النحو العربي فيه بقوله: " أنه من الأولى الإقلاع عن بحث مسائل التأثر والتأثير لقلة جدواها، والأولى عقد حوار مع كل المناهج الحديثة من غير حصر النحو العربي في منهج واحد بشرط ألا تكون هذه المناهج الحديثة معايير لتقويم النحو العربي بل أساليب استئناس"[115].

والذي ينبغي التأكيد عليه أن عبد الرحمن الحاج صالح لم يحصر أبداً النحو العربي في منهج واحد، وهو المنهج التوليدي التحويلي، بل على العكس من ذلك، فإنه قد عقد مقارنة بين المنهجين البينوي والتوليدي التحويلي، ووجد بأن هذا الأخير أقرب ما يكون إلى النحو العربي، يقول عبد الرحمن الحاج صالح: " والجدير بالملاحظة هو أن جميع البنويين، لكونهم لا يريدون أن يتجاوزوا الوصف فقد قصروا بحثهم، في الحقيقة، على محاولة اكتشاف الوحدات وتصنيفها، كما تنبه إلى ذلك تشومسكي، فكأن دراسة اللغة كلها مقصورة على فك رموز النص اللغوي، ويؤدي ذلك إلى العناية بدور التخاطب وحده وتجاهل أهم قطب في التخاطب وهو المتكلم.

114- رشيد عبد الرحمن العبيدي: العربية والبحث اللغوي المعاصر ص 218.

115- حسن خميس سعيد الملخ: التعليل في النحو العربي ص 251.

ولهذا حاول أصحاب النحو التوليدي التحويلي أن يعيدوا لسلوك المتكلم أهميته التي يستحقها، وخاصة محاولة التفسير لأهم ميزة تمتاز بها اللغة، وهو قدرة المتكلم على التصرف في بنى اللغة للتعبير عن لأغراضه باستعمال البنى والأوضاع المتعارف عليها فقط في وضع لغته، وبالتالي العبارات التي تنتمي إلى تلك اللغة هي وحدها. وهذا هو الذي يسميه سيبويه بالمستقيم الحسن"[116]. وهذا يدلّنا على أن عبد الرحمن الحاج صالح حاول الاستئناس بكل المناهج، ولكنه وجد في المنهج التوليدي التحويلي الإجابة على كثير من الأسئلة التي راودت الباحثين الذين كانوا يسعون إلى تيسير نحو اللغة العربية، والذي لم يجدوا صالتهم في المنهج البنيوي، فهذا أحد رواد الوصفية، وهو تمام حسان حدث له ما يشبه الانقلاب على مفاهيمه التي كان يصدح بها حينما اطلّع سنة 1978 على المنهج التوليدي التحويلي بقوله: " يبدو أنّ النموذج التوليدي التحويلي يمكن أن يطبق على اللغة العربية، ويمكن للغة العربية أن يعاد وصفها ألسنياً من خلاله "[117].

إن هذا ليثبت إثباتا قطعيا بأن عبد الرحمن الحاج صالح مثله مثل غيره من اللسانيين العرب المحدثين رأى بأن المنهج التوليدي التحويلي يتلاقى كثيرا مع النحو العربي، وقد مثل لذلك بقوله: " إن نظرية العامل التي يطالب كثير من نحاة المعاصرين بإلغائها هي أقرب نظرية إلى الصواب، ولجأ إلى هذا المفهوم أيضا تشومسكي Chomcky ... إن العامل مفهوم ذهني لتفسير ظاهرة لغوية هي علاقة كلمة بكلمة داخل الجملة في هذه

116- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان ج2 ص 42.

117- تمام حسان: إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا ص 184.

العلاقة، ثم تصنيف الكلمات إلى عوامل ومعمولات، أو متأثرات، وعلى ذلك حين وجد سيبويه بعض الكلمات منصوبة، أو مرفوعة دون وجود عامل ظاهر في السياق كان لابد من افتراض عامل محذوف، أو مضمر، كما في أساليب النداء والقسم والاختصاص" [118].

وفي حديثه عن الانفصال والابتداء يقول: "... والزيادة على الأصل هي نوع من التحويل على حد تعبير اللسانيات. فالاسم المفرد وما بمنزلته هو وحده يحددها هذا التحديد الإجرائي (تحديد فيه عمليات تحويلية). وتحدد في نفس الوقت كل المكونات التي تتألف منها هذه الوحدة (وسموها بعد سيبويه باللفظة)... وأما التفريع فهو نفس التحويل الذي أشرنا إليه قبل.

والفرق بين هذا التحويل مما يوجد عند البنيويين، فهو أن الوحدات الداخلة في اللفطة (الكلم) تتحدد بهذا التفريع (التحويل بزيادة ما يمكن زيادته دون أن تتجاوز حدّ اللفظة). فالتحويل هو الذي يحدد الوحدات في المدرسة الخليلية، ولا تحتاج إلى " المكونات القريبة " الذي صاغه تشومسكي على شكل شجرة ".

نلاحظ أن عبد الرحمن الحاج صالح لم يكن بعيدا عن الإقناع، فالبحث يذهب إلى أنه وجد تلاقيا بين النحو العربي القديم، وبين المنهج التوليدي التحويلي الذي أرسى دعائمه تشومسكي، وقد تراءى لنا كل ذلك حينما سقنا أمثلة من النظرية الخليلية الحديثة التي بين عبد الرحمن الحاج صالح بواسطتها بالأدلة القاطعة أصالة نظرية التراث النحوي

118- تواتي بن التواتي:المدارس اللسانية في العصر الحديث ص 109.

العربي، " ولاسيما في المبادئ العقلية التي بنيت عليها "[119].

بل إن البحث بسوقه لجملة من آراء الباحثين أكد بأن نوام تشومسكي رائد النظرية التوليدية التحويلية لم يكن بعيدا عن التأثر بنظرية النحو العربي التراثية.

وها هو دليل آخر نجده عند باحث قد طبقت مؤلفاته الآفاق يتساءل بعد أن أورد جملة من آراء الجرجاني في نظرية النظم، وجملة من انتقادات تشومسكي للبنيويين والسلوكيين بقوله: " ما سرّ هذا التلاقي شبه التام بين رأي عبد القاهر في النظم؟ ثم ما يترتب عليه من بناء وترتيب وتعليق وبين رأي تشومسكي في البنية العميقة، وما يتولد عنها من بنيات سطحية؟ هل كان ذلك منهما مجرد توارد خواطر، أو كان تأثرا من ناحية تشومسكي بفكر عبد القاهر؟

وإذا كان ذلك تأثرا، فكيف وصل الأثر إلى تشومسكي مع اختلاف الدار والعصر واللغة والثقافة، ثم مع ما يصادفه التراث العربي والإسلامي في الغرب من تجاهل متعمد حينا، ومن انتقاص وتهجم حينا آخر، حتى لقد وصل الأمر إلى إنكار فضل العرب في حقل الدراسات اللغوية بنسبة التأثير إلى الهند في حقل الأصوات والصين في حقل المعجم واليونان في حقل النحو. ثم لم يبق للعرب إلا مقعد التلميذ من هذه الأمم.

وليس أحب أن أنسب إلى تشومسكي تهمة النقل عن عبد القاهر على الرغم درجة القرب بين الفكرتين. ولكنني أشير فقط إلى بعض القرائن التي تدل على التأثر دون النقل. فالذي بلغني عن تشومسكي أن أباه من رجال الدين اليهود الذين يعرفون العربية معرفة

119- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان ج1 ص 213.

جيدة، ويعرف أن نحو العبرية قد تمت صياغته لأول مرة في الأندلس الإسلامية على غرار نحو العربية.

ومن هنا لابد أن يكون له إلمام بكتب النحو العربي. وإذا كان الأمر كذلك لم يكن من الغريب أن يكون الابن المحب للاستطلاع العلمي قد سأل أباه أن يترجم له، أو أن يمكنه على نحو ما من معرفة بعض آراء النحاة العرب التي تأثّر بها النحو العبري، أو أي شيء من هذا القبيل، ثم أن تكون فكرة النظم، كما قررها عبد القاهر، قد جرى ذكرها، أو الإشارة إليها.

وليس ببعيد أن تكون فكرة النظم مصدر الإيحاء بفكرة البنية العميقة، أيا كانت الظروف التي صيرتها مصدرا للإيحاء والتأثر"[120]. كلّ هذه التساءلات والإثباتات تدل بما لا يدعو إلى الشك أن تشومسكي رائد اللسانيات التوليدية التحويلية قد تأثر بالفعل بأنظار من نحو اللغة العربية.

وقد شدّته بالفعل بحوث النحاة الأوائل أمثال الخليل وسيبويه والجرجاني، وما فكرة البنيّة العميقة إلا صدى لتأثره بفكرة النظم عند عبد القاهر الجرجاني. وكان عبد الرحمن الحاج صالح قد تتبع تاريخ علم اللسان من أقدم الإشارات التاريخية له حتى العصر الحديث، فوجد بأن تطور اللسانيات في أوروبا في القرون الوسطى بعد القرن السادس الميلادي حتى القرن السادس عشر وجد بأن الأوروبيين بدأوا يبحثون عن علل النحو في تفسير القواعد بتأثير الفلسفة، والمنطق، وقالوا بضرورة التقدير في النحو لتفسير

120- تمام حسان: مقالات في اللغة والأدب ج2 ص 343.

الأبنية والتراكيب التي تعتريها بعض التحولات في سعة الكلام ونظمه مثل الحذف، والتقديم، والتأخير، وغيرها. وهنا وصل إلى أن نحاة العربية أول من لجأ إلى التقدير[121].

وقد خص عبد الرحمن الحاج صالح النحو العربي ومنطق أرسطو بدراسة خاصة ذهب من خلالها إلى أن المنطق الأرسطي لم يؤثر تأثيرا حقيقيا ملحوظا على النحو العربي إلا في القرن الرابع الهجري.

ويثبت أحد المعاصرين بأنّ هذا التتبع التاريخي الموجز لعلم اللسان البشري حقق منه عبد الرحمن الحاج صالح هدفين: التأريخ لتطور علم اللسان الحديث، وإثبات " أن النظرية النحو العرب عربية في جذورها وأصولها. فالتعليل النحوي نبع من اللغة العربية، ولم يتأثر بمقولات المنطق إلا في القرن الرابع الهجري، وتمثل أصوله النظرية دقة علمية في البحث والتفسير، وهذا ما سعى إليه في الطريقة الثانية التي سلكها للبرهنة على وجود نظرية نحوية عربية متقدمة علميا قادرة على تفسير اللغة العربية نحوا وصرفا "[122]. هذا التفسير الذي هو من نتاج النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي وجد عبد الرحمن الحاج صالح بأنه يلتقي بالتعليل النحوي الذي أرسى دعائمه النحاة الأوائل، ولاسيما الخليل وسيبويه. ولذلك يمكن استثمار ما توصلت إليه هذه المناهج التوليدية التحويلية في عمليتي تيسير النحو العربي على الناشئة.

121- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان ج2 ص 27.

122- حسن خميس الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي ص 249.

البحوث اللسانية العربية:

وجد نهاد الموسى بأن أصول اللسانيات الوظيفية، ومناهج التوسع الذي نجد له تماثلا في التراث اللغوي العربي ما يطلق عليه بظاهرة التعليل بالخفة والفرق عند النحاة العرب، إذ أن النظام النحوي... خلق للإفادة أي لتبليغ أغراض المتكلم للمستمع، فهو آلة للتبليغ جوهره تابع لما وُليّ من أمر الإفادة؛ فهو إلى قوانين فن الموصلات (!) أقرب منه إلى قواعد المنطق.

وقد فهم النحاة العرب هذه الظاهرة فهما صحيحا؛ إذ بَنَوْا علم النحو على مبدأ التخفيف والفرق. وهذا مبدأ الاقتصاد اللغوي الذي أثبته اللغويون المعاصرون، وهو يقول إن الإنسان لا يبذل من الجهود العلاجية، أو الذهنية في إعماله لآلة الخطاب إلا بقدر ما يستطيع إفادة المخاطب أو بعبارة أخرى إنّ هم ّالمتكلّم أن يبلغ أكبر عدد ممكن من الفوائد بأقل عدد ممكن من الجهود. وهذا أصل التعليلات التي يشاهدها المطلع على كتب النحاة القدماء، ويتراءى ذلك أيضا في عبارات البلاغيين عن كلام المؤثّر أنّه " من قلّ لفظه و كثر معناه "[123].

ونلاحظ هنا أن نهاد الموسى يستأنس في هذه الفكرة بما ذهب إليه عبد الرحمن الحاج صالح في مقاله الموسوم " النحو العربي ومنطق أرسطو". إذ يعلق على ما أورده من عبارات البلاغيين عن الكلام المؤثر أنه " مَا قلّ لفظه وكثر معناه " بقوله: " ولا ريب أن هذا (أصل) صحيح من غير وجه، في التفسير اللغوي. ولعله يستدعي نقيضه

123- نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث ص 50.

ويتكامل وإيّاه؛ ذلك أن مبدأ الحشو والفضول في اللغة يفسّر وجوهًا أخرى من الظاهرة اللغوية، ولكن في سياق مختلف"[124].

ولقد أقر نهاد الموسى بفضل السبق الذي ناله عبد الرحمن الحاج صالح في لسانيات التراث محاولة منه لتأصيل التراث اللغوي العربي، وفق تجليات اللسانيات الغربية الحديثة، وذلك في مقدمة كتابه إذ قال: " ويتعين علي أن أضمن هذا الاستفتاح احتراسا؛ إشارة اعتراف بالجهد الخصب المتبصر الذي بذله عبد الرحمن الحاج صالح في أبحاثه بمجلة اللسانيات، إذ تتبع فيها تاريخ علم اللسان الحديث في التقليد الغربي، وقرنه حيث كان توافق أو تفوق، بنظائره وأشباهه في التراث الدرس اللغوي عند العرب، وقد وقفت على بعض عمل الرجل، وأنا أناهز الفراغ من هذا البحث. وعلى الرغم من استئناسي ببعض ملاحظاته، وقد أشرت إلى ذلك في مواضعه، فإنّي لم أورد كثيرا منها في سياق هذا البحث، على أن كثيرا من هذا ينهض دليلا على الدعوى التي أنا بصددها، تجنبا لتكرير أقوال وقف عليها الناس عنده وليست بحاجة إلى التكرير تعضيدا ".

كما أنه عرض أيضا لسياق الحال الذي اهتمت به اللسانيات الوظيفية، وخاصة مع مدرسة (فيرث) ، ووجد بأن النحاة لقدامى، ولاسيما سيبويه، كان كثيرا ما يفزع إلى السياق، ويجمع بينه وبين التفسير اللغوي " وذلك حيث نرى سيبويه يقف إلى تراكيب مخصوصة فيردها إلى أنماط لغويّة مقرّرة، ويقدر ما يكون عرض لها من الوجهة اللغوية الخالصة من حذف، أو غيره وفق نظرية العامل. ولكنه لا يقف عند ذلك بل

124- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث ص 74.

يتسع في تحليل التراكيب إلى وصف المواقف الاجتماعية التي تستعمل فيها، وما يلابس هذا الاستعمال من حال المخاطب، وحال المتكلم، وموضوع الكلام... وقد هداه الاتساع إلى استكناه البنية الجوانية للتركيب النحوي، ورسم خطوط هادية في تعلم العربية يضع كل تركيب موضعه، ويعرف لكل مقال مقامه "[125]. وهو يريد بالتركيب النحوي أسلوب الاستفهام، أما البنية الجوانية فدلالته على التقرير في إطار معين وهو يورد كلام سيبويه في تفسير قولهم: " أتميميا مرة و قيسيا أخرى "[126].

وبعد أن يورد النص كاملا من الكتاب يقول معلّقا: " وهكذا يقدرّ الحذف في ضوء التفسير الداخلي، ثم يلاحظ كيف ينصرف الاستفهام إلى التوبيخ والتقرير، في ضوء معطيات الموقف الاجتماعي".

ويستدل نهاد الموسى على حضور الضابط المعياري الخارجي في أعمال نحاة العربية بمنع سيبويه قول القائل: " هذا أنت "، والعلة أنك لا تشير للمخاطب إلى نفسه ولا تحتاج إلى ذلك وإنما تشير له إلى غيره ".

ويحلل قول سيبويه بأنه : " يستمد هذا التعليل من تحليل موقف الإشارة، فقد لاحظ أنه يقوم في المواضعات المتعارفة على جهات ثلاث: المتكلم (المشير)، والمشار إليه، المخاطب (المشار له)، ولاحظ أن المخاطب جهة لازمة من هذه الجهات، ولكنه جهة واحدة، فلا يجوز في حكم التحليل الخارجي للعبارة أن يكون المخاطب مشارا إليه،

125- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر الغوي الحديث ص 88.

126- سيبويه: الكتاب ج 1 ص 343.

ومشارا له في آنٍ معًا. ولو وقف سيبويه قول القائل: هذا أنت كما يجيز قولنا: هذا سور القدس، هذا جوابهم "[127].

كما أنه تعرض لموقف ابن جنّي الذي لَمْ يُجِزْ أن يقال: " مات زيد والشمس؛ لأن الشمس لا يصح موتها، وهذا احتماء بنظام الوجود الخارجي؛ إذا الواقع المشاهد بخلافه". وهو يشير إلى التوأمة الموجودة بين النحو والبلاغة بقوله: " إنّ فرز هذه المسائل عند النحويين يحددّ على التعيين منطقة (الأعراف) بين النحو والبلاغة في إطارها التاريخي، ولكنها على هذا المستوى تظل تتماز بأنها تتعلق بمستوى الصواب النحوي في الأساس".

ومعنى ذلك أن بعض المسائل التي يتحكم فيها إلى المتغيرات الخارجية، وسياق الحدث الكلامي موافقة لمسائل البلاغيين، ولاسيما علماء المعاني، وهذا ما جعل أحد المعاصرين يصف منهج نهاد الموسى بأنه: " منهج المرايا المتقابلة، فالخطوط العامة للصورة في: المرآة (أ) هي الخطوط العامة لصورة أخرى في المرآة (ب) من غير تدخل في تشكيل، أي من الصورتين للحفاظ على الاستقلال الخارجي لكل منهما. وهو بهذا يتجاوز النظر في أوجه الافتراق إلى النظر في أوجه الاتفاق بين نظرية النحو العربي، والمناهج اللغوية المختلفة سعيا للتبصّر فيما بلغه الدرس الحديث، ومن ثم استئناف النظر في النحو العربي، فعلى هدى استجلائه للبعد الخارجي في التعليل النحوي يمكن ردّ جملة التحويليين المشهورة (الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام

127- نهاد الموسى: الأعراف الملتقى الدولي الثاني للسانيات ص 152.

ساخطة) لأن المعنى لا يصحّ. والمقابلة بين نظرية النحو العربي ومناهج النظر الغوي الحديث تبينّ أنّ العمل، والاختصاص، والتقدير، ودلالة الحال، والمعنى تعليلات فيها قدر كبير من الوثاقة "[128].

لكن نهاد الموسى بين " بأن النحاة من أجل خدمة المنهج التعليلي الذي أخذوا أنفسهم به ربما جاءوا باجتهادات غير صحيحة تاريخيا؛ إذ كانوا يرون أن الأصل في (فم) هو (فوه) بدليل (أفواه) فحذفوا الهاء تخفيفا، ثم أبدلوا الميم من الواو، فإن أضيف رجع به الأصل، فقيل: (فوك)، وربما بقي الإبدال نحو (لخلوف فم الصائم) فقولهم بالأصل الثلاثي لها يتنافى مع واقعها التاريخي كما كشفه البحث المقارن الذي يقول بالأصل الأحادي لهذه الكلمة " .

ولأجل ذلك يدعو نهاد الموسى إلى فرز يميّز القواعد التي تصف ظواهر في مادة اللغة حسب، وينفي العلل والتأويلات والخلافات؛ ذلك أنّ قواعد كثير علقتّ بجسم النحو، وهي في واقع الأمر من مقتضيات النظرية لا من مادة العربيّة[129].

ومما هو جدير بالذكر فإن حسن خميس الملخ يدعو إلى تبني رأي نهاد الموسى، وهو يقر" بأن النحو العربي في صورته التي وصل إلينا متشابك تتداخل فيه الأحكام، والعلل ونظريات العلل في مزيج يسبب شيئا من الغموض، والصعوبة، كما في تقرير نصب اسم (إنّ) " بإنّ، ثم تعليل ذلك بقياس (إنّ) على الفعل الماضي المتعدي، ثمّ عدّ هذا

128- حسن خميس الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي ص 24.

129- نهاد الموسى: رأي في رسم منهاج النحو ص 15.

العمل خارجا عن نظرية عمل الحروف المختصة بالاسم إذ حقهّا الجرّ لا النصب، فهذا التسلسل في عرض المادة بدأ من المدرك، وهو نصب اسم إن، ثم انتقل إلى النظير بين (إن) والفعل المتعدي، ثم انتقل إلى النظرية الجدلية. فهناك انتقال بين ثلاثة أنواع من التفكير الجزئي المحسوس: (التقدير)، والتفكير الكلي المحسوس (القياس)، والتفكير الكلي العقلي المجرد (النظرية)، ولا ينشط ذهن كل متعلم للانتقال بين هذه المستويات الثلاثة فتنشأ الصعوبة وتحصل الشكوى"[130].

إذن، فهذا الانتقال الفكري هو الذي سبب هذه الصعوبة ونجمت عنه تلك الشكوى من التعليلات النحوية. فهذه الدعوى إلى تقسيم العلل إلى مستويات حسب قدرة المتعلم هي التي يمكنها أن تؤدي إلى التيسير استعاب القواعد النحوية، ثم الوصول إلى التيسير الحقيقي للنحو العربي والدراسة توصي بتبني آراء نهاد الموسى ومحاولة استثمارها في تعليم النحو العربي للناشئة.

الاتجاه التفسيري الوظيفي:

يُعد الاتجاه الوظيفي ثالث اتجاهات البحث اللّساني المعاصر. تعود أصول هذا الاتجاه إلى جملة من الأعمال اللسانية الحديثة كمدرسة براغ، وأعمال اللسانيين التشيكيين المعروفة بالوجهة الوظيفية للجملة، والمدرسة النسقية في لندن.

وقد شكلت اللسانيات الوظيفية أحد أشكال التصورات المتلاحقة التي عرفتها المدرسة

130- نظرية التعليل في النحو العربي ص 247.

البنيوية ممثلة بالأب الروحي (سوسير) الذي ركّز على وظيفة اللغة باعتبارها وسيلة من وسائل التواصل، إن لم تكن أهمها على الإطلاق، وهو الجانب الذي أولاه أتباعه أهمية خاصة من خلال دراستهم للّغة والبحث عن الوظائف التي تؤيدها عناصرها وأدواتها التعبيرية.

بَيْد" أن أبرز الدراسات والتطورات التي عرفها هذا الاتجاه شكلتهـــا (حلقة براغ) بفضل أعمال تروبتسكوي Troubetzkoy، ومارتينيه A. Martinet، وجاكبسون Jakobson... وغيرهم، فكانت مفاهيم وبحوث هذه المدرسة منطلقا لبحوث ودراسات أخرى استثمرت مفاهيم هذا الاتجاه ".

فنجد " أنه منذ منتصف الستينات حاول بعض اللسانيين استثمار المفاهيم اللسانية الواردة في أعمال " حلقة براغ "، ومن هؤلاء نذكر (دانش)، و(سفوبودا)، و(فيرباس)، و(سكال)... يؤكد هؤلاء اللسانيون الوظيفيون على مفهوم مركزي يتمثل فيما أسموه " ديناميكية التواصل". إنّ التواصل في لحظة معينة ليس شيئا ثابتا، كما يوحي بذلك نموذج (جاكبسون) حول وظائف اللغة ".

التواصل حركية وديناميكية مستمرة تحمل بنية اللغة آثارها الواضحة. إن الجملة ليست كلمات فحسب، بل هي فعل لغوي وموقف إزاء واقع معين؛ إنها تنقل تجارب المتكلمين، وتتموضع هذه التجارب في عملية التواصل بالقياس إلى التجارب الأخرى المعروفة لدى السامع، أو التي يمكن إدراكها في إطار العلاقة التي تربط بين المتكلم والسامع.

إنّ التحليل الملائم للجملة هو التحليل القادر على تبيان مقدار هذه الديناميكية التي تسهم مع كل جملة في عملية التواصل.

وإذا كانت النظريات (الصورية) المتمثلة في نموذج النحو التوليدي التحويلي تعد اللغة بنية مجرّدة يمكن دراستها بمعزل عن وظيفتها التواصلية، فإن النظريات (الوظيفية) تنطلق من فهم مغاير حيث تعد اللغة أداة من أدوات التفاعل الاجتماعي بين البشر، وتستخدم لهدف أساسي هو إحداث تواصل بين المتكلم والمخاطب.

وهذا الفهم لوظيفة اللغة من شأنه أن يؤدي إلى القيام بمحاولة بناء جهاز لغوي أكثر ضبطا واتساعا حيث يشمل الخصائص البنيوية للانجازات الكلامية المقدمة من خلال المقامات التخاطبية المختلفة.

ولأنّ النظريات الوظيفية متعددة، فإننا سنقتصر في بحثنا هذا على الحديث عن نموذج النحو الوظيفي للهولندي (سيمون) دك، لأنه النموذج الذي عكس بكل وضوح نقاط اختلاف مع كثير من النماذج كالنحو التوليدي التحويلي، والنحو العلائقي ونحو الأحوال، ولأنه كذلك أحد النماذج التي أثارت اهتمام الدارسين العرب بفضل جهود أحمد المتوكل الذي سنعتمد كتاباته نموذجا في هذا الاتجاه.

المبادئ المنهجية للنحو الوظيفي: إن النحو الوظيفي يقوم كغيره من الاتجاهات الوظيفية الأخرى على أسس ومبادئ عامة تتلخص في الربط بين بنية اللغة ووظيفتها من ناحية، وعلى جعل البنيات الصورية للجمل اللغوية تفرد تمثيلا للوظائف التداولية من ناحية ثانية ".

وبذلك يتميز النحو الوظيفي عن غيره من النماذج الوظيفية بكونه نموذجا يتضمن مستوى قائم الذات مهمته الأساس التمثيل للخصائص التداولية التي تسهم في جعل عملية التواصل أمرا ممكنا. يقوم أن التركيب يخضع للدلالة.

6 – يسعى الوصف اللغوي في إطار النحو الوظيفي إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات هي: الكفاية النحو الوظيفي على المبادئ المنهجية العامة التالية[131] :

1 – وظيفة اللغة الأساسية هي وظيفة التواصل.

2 – موضوع الدرس اللساني هو القدرة التواصلية للمتكلم المخاطب.

3 – في خصوص نظام اللغة وأولوية الاستخدام، فالجهاز اللغوي تتم دراسته منذ البداية في إطار الاستعمال اللغوي.

4 – إن وصف التعابير اللغوية ينبغي أن تتم عبر التزود بمعلومات مستفادة من وظيفتها، وظرفها المقدمة فيه.

5 – التداول هو الإطار العام الذي، من خلاله، ينبغي دراسة الدلالة والتركيب،

131- أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية . دار الثقافة الدار البيضاء 1985 ص 11، 12.

فالدلالة تتعلق بالتداول، كما التداولية، والكفاية النفسية، والكفاية النمطية.

يحدد سيمون ديك الكفاية التداولية بقوله:" ما دام النحو الوظيفي جزءا من نظرية تداولية موسعة يشكل التفاعل الكلامي موضوع مجالها، يتعين علينا بداهة أن نفصل النحو الوظيفي الذي يلائم ما نعرفه حول التفاعل الكلامي عن نحو ليس كذلك. نريد بصفة خاصة نحوا وظيفيا يكشف خصائص العبارات اللغوية الواردة بشأن الكيفية التي تستعمل بها، والطريقة التي تربط بينها، وبين قواعد الوصف المتحكمة في التفاعل الكلامي"[132].

ويكون النحو كافيا نفسيا " إذا لم يكن منافيا للمبادئ والفرضيات النفسية الواردة بشأن عملية إنتاج وفهم العبارات اللغوية ".

أما الكفاية النمطية " فهي تستطيع في نفس الوقت أن تضع أنحاء لغات تختلف نمطيا، وأن تصف ما يؤلف وما يخالف بين هذه اللغات المختلفة "

ومعنى ذلك أنّ النحو الوظيفي يتعدى الوصف بكفاياته الثلاثة إلى تفسير الوظائق اللغوية، وذلك من خلال ملاحظة النصوص الشفوية، أو المكتوبة، للوصول إلى النحو الكلي بكل جوانبه التداولية والتركيبية والدلالية.

مهام اللساني في النحو الوظيفي: تكمن مهام اللساني، في هذا التصور، بناء نسقين من القواعد كلاهما يكتسي طبيعة اجتماعية[133]:

أ – نسق القواعد التداولية التي تحكم التفاعل الكلامي باعتباره نشاط تعاونيا مبنيا.

132- مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة ص 258.

133- حافظ اسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ص 346.

ب– نسق القواعد الدلالية والتركيبية والصوتية التي تحكم العبارات اللغوية المستعملة بصفتها أدوات لذلك النشاط.

وهو مطالب أيضا " بأن لا يقف عند وضع القواعد فقط، بل عليه أن يفسرها من خلال وظيفتها، وذلك بالنظر إلى الطرق التي تستعمل بها العبارات اللغوية، وأهداف تلك الاستعمالات، أما المعطيات التي يعمل عليها اللساني فهي الملفوظات الملاحظة في النصوص الشفوية، أو المكتوبة، إذ تزوده بأفضل صورة للكيفية التي يستعمل بها الناس فعليا لغاتهم في ظروف الحياة اليومية "[134].

تعطي اللسانيات الوظيفية الجانب التداولي الأولوية، على الرغم من إقرارها بأهمية الجانبين التركيبي والدلالي؛ إذ تعتبرهما آليات لخدمة الجانب الأول، ولتحقيق التواصل.

ومن المهام التي يناط باللساني القيام بها أيضا، إن هو أراد استكمال البحث في القدرة التواصلية، ضرورةُ الكشف عن" نسق النحو الكلي الذي يضمن نمطين من الكليات: كليات صورية، وكليات وظيفية، كما عليه أن يربط بينهما مفسرا هذه الكليات من خلال:

أ– أهداف التواصل.

ب– والتكوين النفسي والبيولوجي لمستعملي اللغات الطبيعية.

ج– والمقامات التي يتم فيها استعمال اللغة ".

وبتسطير هذه الأهداف يكون الوظيفيون قد رسموا معالم جديدة للنظرية اللسانية التي

134- البوشيخي عز الدين: النحو الوظيفي وأشكال الكفاية جامعة المولى إسماعيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس 1990 ص33.

تنحو منحى تفسيريا.

وإذا ما أردنا أن نبحث عن مظاهر اللسانيات الوظيفية في الثقافة العربية، فإننا نجد ملامح التأثر بالاتجاه الوظيفي واضحة عند لسانيين عرب في إطار ما يعرف بلسانيات التراث، وتجلى ذلك في البحث عن أوجه للتماثل بين المنهج الوظيفي، وبعض الأصول اللغوية العربية، كما نشط الاهتمام بوظيفية براغ ترجمة وتعريفا في مؤلفات عبد الرحمن الحاج صالح، وخاصة منها كتابه مجلة اللسانيات، وكتابه "بحوث ودراسات في علم اللسان الحديث"، ومؤلفات نهاد الموسى، وخاصة كتابه (نظرية النحو العربي في ضوء وجهة النظر اللغوي الحديث) الذي حاول أن يقارن فيه بين مبادئ النحو الوظيفي في تحليل الجملة وآراء الجرجاني النحوية والبلاغية[135].

وأولى كثير من اللسانيين العرب المعاصرين عناية خاصة لوظيفية مارتيني، إما مترجمين لبعض أعماله ومعرفين بها، وإما محاولين تطبيق مفاهيمها، ودارسين بعض المظاهر التركيبية في الجملة العربية من وجهة وظيفية بنيوية، كما نجد ذلك عند بعض اللسانيين التونسيين مثل عبد السلام المسدي، والطرابلسي في كتابهما (الشرط في القرآن الكريم)، ومحمد الشاوش في كتابه (ملاحظات بشأن تركيب الجملة العربية).

ومنهم الباحث في اللسانيات الجزائري أحمد حساني في كتابه (مباحث في اللسانيات العامة) الذي حاول فيه تطبيق مبادئ الوظيفية عند مارتيني في تركيب الجملة العربية.

كما أنّ جعفر دك الباب قد حاول تطبيق النحو الوصفي الوظيفي على الجملة العربية،

135- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث ص 87 .

وتجلى ذلك في بحوثه ومقالاته التي كان ينشرها، ولكن أبرز كتابة في الاتجاه الوظيفي بمعناه اللساني المعاصر، أي النحو الوظيفي التداولي، تجسدت عن طريق اللساني المغربي أحمد المتوكل، لذلك، فإننا سنحاول أن نتبين إثراءه النظري والمنهجي للدرس اللساني العربي الحديث من خلال اتخاذ الوظيفية عامة، والنحو الوظيفي بصفة خاصة، إطارا نظريا ومنهجيا لوصف بنيات اللغة العربية وتفسيرها، بطريقة شمولية متكاملة.

ولكن قبل ذلك نحاول أن نستعرض تجربة أستاذي جعفر دب الباب، لأننا رأيناها محاولة جادة تستحق النظر والمناقشة، وتعتبر بداية انتقال من المنهج الوصفي إلى المنهج الوظيفي.

4- قراءة في كتاب " الموجز في شرح دلائل الإعجاز، نظرية الإمام الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة الحديث" لجعفر دك الباب:

يعد جعفر دك الباب من اللغويين المحدثين الذين درسوا النحو العربي بعناية، والجملة العربية بشكل خاص على أساس النحو الوظيفي، وقد تأثر تأثرا كبيرا بفكر عبد القادر الجرجاني حيث دعا إلى وجوب تقريب التراث اللغوي العربي من المناهج اللسانية الحديثة لإظهار إسهام العرب في بناء الحضارة الإنسانية[136]. وذلك في كتابه (الموجز في شرح دلائل الإعجاز، نظرية الإمام الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة الحديث)، إضافة إلى نشره لعدة مقالات وضح من خلالها " أن بِنية الجملة تتألف من جزأين أساسيين، هي المسند والمسند إليه، وتتكون الجملة من :

136- جعفر دك الباب: الموجز في شرح دلائل الإعجاز ص 10.

اسم + اسم ، أو فعل + اسم.

وعلى هذا قال النحاة القدامى بوجود نمطين للجملة، على أساس الكلمة المتصدرة، وهما: الجملة الفعلية والجملة الاسمية.

ثم ذهب يفسر لنا النمط الأول، وهو النمط الذي يبتدئ بفعل (مسند)، يليه فاعل (مسند إليه)، حيث يذهب إلى أن الفعل والفاعل هنا، يكونان وحدة تتسم بالتلازم، كما أنه يرى أن النحاة أطلقوا على الاسم مصطلح (فاعل)، لأنه لا يصلح في هذه الحال أن يكون (موضوعا) للكلام، أي منطلق للحديث، وأن الجملة من هذا النمط تحمل خبرا ابتدائيا، مما يستلزم أن يعقب الفعل اسم ظاهر يعمل فيه الفعل الرفع، وبذلك لا يؤثر هذا الاسم في الفعل السابق عليه من حيث المطابقة، وهو يطلق على حالة رفع الفاعل هنا (الرفع غير المطلق).

نستشف من كلام (دك الباب) أنّه يؤمن بنظرية العامل في التراث العربي، وإلا ما معنى إشارته إلى أنّ الفعل يعمل الرفع في الفاعل، وكما نعلم فإنّ العامل في النحو العربي هو نوع من التعليل.

ويتناول جعفر دك الباب تفسير النمط الثاني الذي يتقدم فيه الاسم على الفعل من نحو: (زيدٌ قام)، فيذهب إلى أنّ الفاعل هنا احتل وظيفة (مبتدأ)، لأنّه يصلح أن يكون منطلقا (موضوعا) للكلام عنه، وأنّ وقع المبتدأ غير مقيد بوجود الفعل بعده، ولذلك أطلق عليها اسم (حالة الرفع المطلق)، كما أنّ الاسم هنا مستقل صرفيا ووظيفيا عن الفعل بعده.

ولعل جعفر دك لباب قد كان متأثرا بالإمام الجرجاني الذي أشار إلى هذا المعنى بقوله: " لا يؤثّر بالاسم من العوامل إلا لحديث قد يؤدي إسناده إليه "[137].

ومما هو جدير بالذكر أنّه لا يوجد اختلاف بين من تبنوا المناهج اللسانية الحديثة وما أرساه القدامى إلا في استعمال هذه المصطلحات التي من شأنها أن تزيد الطينة بلّة في مجال صعوبة النحو، وليس تيسيره كما يدّعون. فالقول بمصطلح (الرفع غير المطلق) يقابله المصطلح التراثي (العوامل المعنوية)، إذا، فما حاجتنا لأن نغير المصطلحات التي تعودنا عليها، وأصبحت مألوفة عندنا؛ إذ هي متعلقة بالتراث.

وهذا هو الأمر الذي أدى إلى تشتّت النظر بين القديم والحديث، فلا هو تمكن من أصول تراثه اللغوي القديم، ولا هو واكب هذا التطور الهائل في المناهج اللسانية الحديثة التي تبناها دعاة التيسير

ولعل في إشارته إلى التركيبين الإسناديين الاندماجيين، وغير الاندماجي هو أن جعفر دك الباب قسم الجملة إلى ثمانية أنماط على النحو التالي [138]:

1- م (مد)، حيث م (مسند)، و(مل) مسند اليه، ويتألف هذا النمط من كلمة واحدة، أي الكلمة الجملة نحو: كتب = كتب (هو).

2- مد، حل ويتألف من كلمتين متصلتين صرفيا، أولهما فعل والثانية ضمير متصل فاعل، وذلك نحو: كتب، ويلاحظ أنّ التركيب هنا تركيب إسنادي اندماجي.

137- جعفر دك الباب: مدخل إلى اللسانيات العامة والعربية ص 60.

138- مدخل إلى اللسانيات العامة والعربية ص 63.

3- م + مل، كلمتان منفصلتان صرفيا تشكلان تركيبا إسناديا غير اندماجي نحو: كتب الطالب، كتب طالب.

4- مل 1+ م (مل2)، نحو: الطالب كتب = الطالب كتب هو، وهو كما يلاحظ، تركيب إسنادي خبره ضمير يعود إلى المسند إليه.

5- مل 1، وذلك من نحو: الطلاب كتبوا، أنا كتبت، وهو تركيب إسنادي يشكل الخبر فيه تركيبا إسناديا اندماجيا.

6- مل1 + (م+ مل2)، وذلك نحو: الطالب كتب زميله، وهو كما يلاحظ، تركيب إسنادي، وخبره تركيب إسنادي غير اندماجي.

7- مل + م : وذلك نحو قوله: أبوه مريض (والمبتدأ هنا اندماجي غير إسنادي) ، ونحو: أبوه زيد مريض (والمبتدأ تركيب غير إسنادي غيري اندماجي).

8- مل1 + (مل2+م) : وذلك نحو قولنا: زيد أبوه مريض، وهو يتألف من مبتدأ يشكل تركيبا اندماجيا غير إسنادي، وخبر مؤلف من تركيب اندماجي غير إسنادي. وكان جعفر دك الباب قد نادى بتبسيط نحو اللغة العربية بالتأكيد على الوظيفة الأساسية للغة، تلك الوظيفة التي تتمثل في كونها وسيلة للاتصال بين الناس.

انطلق دك الباب من نظرية عبد القاهر الجرجاني في دعوته إلى توحيد (علم قواعد اللغة العربية) على أساس بنيوي وظيفي، ويقتضي ذلك حسب رأيه دراسة الجملة، آخذة في الحسبان بنيها النحوية (الساكنة)، وبنيتها الإخبارية (الديناميكية)، وهو يرى بأنّ

الجرجاني أشار إلى أنّ القصد من الكلام هو إعلام السامع شيئا جديدا لا يعلمه. وتشير المدرسة البنيوية الوظيفية إلى أن الجملة الخبرية كوسيلة للاتصال يجب أن تعلم السامع ما يعتبر بالنسبة له جديدا في الموقف يعني أن يدرس النحو من خلال درس اللّغة على أنّها نظام من المستويات مختلفة متآزرة تحقّق وظيفة اللغة الأساسية المتصلة بالتواصل. وقد لمّح جعفر دك الباب بالفعل إلى أنّ تأليف الكتب على هذا المنهج، سواء أكان ذلك على صعيد الجامعاتأو المقام الراهن[139].

ولأنّه متأثر بفكر الجرجاني دعا جعفر دك الباب إلى توحيد علمي النحو والمعاني، وعدم الفصل بين درس الأصوات اللغوية وقواعد الصرف، كما يستلزم في الوقت نفسه عدم الفصل بين قواعد النحو وعلم المعاني. وذلك أم المدارس سيساهم في ربط اللغة الفصحى بالحياة من جديد والخروج من مضيق الازدواجية اللغوية التي يعيشها أبناؤنا هذه الأيام[140].

ومهما يكن من أمر فإنّنا تأكدنا بأنّ جعفر دك الباب حاول محاولة جادة في التقريب والمماثلة بين القديم والحديث ليعتبر ذلك فرصة لإظهار إسهام العرب في بناء الحضارة الإنسانية، وفهم تراثنا العربي وشرحه في ضوء منجزات العلم الحديث هو السبيل لانتزاع اعتراف العالم بمدى المساهمة الإيجابية للأمة العربية في الحضارة الإنسانية.

فقد آمن دك الباب بالعامل الذي هو نوع من التعليل، وكان عنده جزء من التفسير

139- مدخل إلى اللسانيات العامة والعربية ص 59.

140- جعفر دك الباب: ازدواجية اللغة العربية وكيفية الخروج منها ص 30.

الوظيفي الذي سعى إليه من أجل تحليل الكثير من قضايا النحو العربي.

5 – قراءة في كتاب "قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية" لأحمد المتوكل:

قام أحمد المتوكل بتأليف كتب عديدة تشيد بالمنهج الوظيفي وتتخذه مثالا صالحا لوصف وتفسير كثير من قضايا اللغة العربية. ومن أبرز هذه المؤلفات:

- الوظائف التداولية سنة 1985.
- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، سنة 1986.
- من البنية الحملية إلى البنية المكونية، سنة 1987.
- من قضايا الربط في اللغة العربية، سنة 1988.
- قضايا معجمية سنة، 1988.
- اللسانيات الوظيفية، سنة 1989.
- من قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، سنة 1995.

يسعى أحمد المتوكل بمؤلفاته، هاته التي ألفها في الاتجاه الوظيفي، إلى إعادة قراءة الفكر اللغوي العربي القديم وصهره في الفكر اللغوي الحديث على نحو يمكن من وصف اللغات الطبيعية وتفسيرها، ومن بينها اللغة العربية، وانطلاقا من هذا التوجه فقد اتكأ على تحليلات ومفاهيم من التراث اللغوي القديم: نحوه وبلاغته، موضحا أن هناك نظرية تداولية تنتظم العلوم اللغوية المختلفة: النحو، واللغة، والبلاغة، وفقه اللغة، وأن هذه النظرية قابلة للقرض والاقتراض، كما أن ذلك يحقق له إعتاء؟ النحو الوظيفي الذي

يقترحه، وتقويم مجموعة من المصطلحات الوظيفية التي استخدمها النحو العربي والبلاغة العربية كوظيفة المبتدأ، أو البدل، والتابع ، وظواهر التخصيص والعناية والحصر[141].

نموذج النحو الوظيفي لدى المتوكل:

يهدف المتوكل إلى وصف اللغة العربية وتفسيرها، معجما وتركيبا وصرفا ودلالة وتداولا في إطار النحو الوظيفي، ويتم اشتقاق الجملة وفق النموذج، بواسطة بنيات ثلاث هي: البنية الحملية، والبنية الوظيفية، والبنية المكونية.

وتتكون البنية الحملية من الأساس الذي يتألف من المعجم وقواعد تكوين المحمولات؛ و يتكون المعجم من أطر حملية (أصول) كالفعل، وأطر (حدود) هي سائر الكلمات في الجملة، وباستخدام قواعد تكوين المحمولات يتم تكوين أطر حملية نووية: أي أطر لا تشمل إلا على (الحدود – الموضوعات)، وباستخدام قواعد توسيع الأطر الحملية ينتج ما يطلق عليه (الحدود – اللواحق)، بعد ذلك يجرى تطبيق قواعد إدماج الحدود ليتم بذلك تكوين البنية الحملية.[142]

ويمكن تصنيف المحمولات وتفسيرها في الجملة على النحو التالي:

(شرب)، على سبيل المثال، هو (فعل) (حي) (منفذ) (سائل) (متقبِّل) (زمان)؛ وهذا يعطي إطارا محموليا. وقد يجري توسيعه فيصبح على النحو التالي :

141- أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ص 27، 28.

142- أحمد المتوكل: الوظائف التداولية للغة العربية ص 14، 15.

شرب زيد شايا اليوم (في المقهى).

ومن ثم يرافق المحمول (شرب) المحور(الفاعل، المفعول) ولِكُلٍّ وظيفة دلالية.

ويدل الإطار المحمولي، وفق هذا التصور، على واقعة يقوم كل عنصر في بنيتها بدور معين، وقد تكون الوقائع :

- أعمالا ، نحو : شرب زيد لبناً.
- أو أحداثا، نحو : فتحت الريح النافذة.
- أو أوضاعا، نحو : زيد جالس فوق الأريكة.
- أو حالات، نحو : زيدٌ فرحٌ.

أما ما يرافق المحمول من محلات لحدوده فتفرضها قيود الانتقاء التي يوفرها هذا المنحى و تفرضها طبيعة المحمول.

على أن ما ينبغي التركيز عليه أن البنية الحملية تعد مدخلا للبنية الوظيفية، ويوضح المتوكل أن أول ما يتم إسناده هو الوظائف التركيبية، التي تنحصر، حسب تصوره، في وظيفتي الفاعل والمفعول، ثم يبّين أن السبب في أسبقية إسناد الوظائف التركيبية يكمن في أن مكونات هذه الوظائف قد تحمل وظائف تداولية، كما هو شأن الفاعل الذي يحمل وظيفة المحور[143].

ويأتي في الدرجة الثانية إسناد الوظائف التداولية، ومنها ثلاث وظائف خارجية هي :

143- الوظائف التداولية ص 15، 16.

1 – المبتدأ :

وهو من منظور وظيفي، وظيفته خارجية، أي أنه لا يَدخل ضمن نطاق الحمل، فحين نقول: زيدٌ، أبو مريض، فإنّ (زيدًا) لا يدخل ضمن نطاق الحمل.

يرى أحد المعاصرين بأن ما يؤخذ على هذا التوجه أن العبارات في النحو العربي لا تقتصر على هذا النمط، فهناك مثل: الولد مجتهد. فهل يعني ذلك أن الولد يقع خارج الحمل؟ وحتى لو قيل: إنّ في (مجتهد) ضميرا مُقدّرًا (هو)، فإن ذلك لا يقف شاهدا على أن (مجتهد هو) يشكل حملا يقع الولد خارج نطاقه، وإلا فإن هذه ستكون غير واقعية"[144] .

2 – الذيل :

هو المكون الذي يوضح، أو يعدل، أو يصحح، معلومة واردة في الحمل، وعلى ذلك فإنّ الذيل قد يكون:

* ذيل توضيح، نحو أخوه مسافر، زيد، ونجحا الطلبان.
* أو ذيل تعديل، نحو : ساءني زيد سلوكه، وقرأت الكتاب نصفه.
* أو ذيل تصحيح، نحو: قابلت اليوم زيدا، بل خالدا، وزارني خالد بل عمرو.

يلاحظ أن هذه الوظيفة الخارجية، وهي (الذيل) تشبه إلى حدّ ما البدل والمبتدأ المؤخر أو ما يسمى الإضراب في النحو العربي التقليدي، فإذا كان الذيل يحمل وظيفة تداولية كالمبتدأ المؤخر، فإنه يأخذ الحالة الإعرابية (الرفع)، وإن كان يحمل وظيفة دلالية، أو

144- محمد عطا موسى: النحو العربي في القرن العشرين ص 332.

تركيبية، فإنه يأخذ حالته الإعرابية حسب موقعه في الكلام تماما مثل التوابع في النحو التقليدي.

3- المنادي :

وهو كما يعرفه المتوكل، وظيفة تسند إلى المكون الدال على المنادى في مقام معين. نحو قولنا: يا زيد، أخوك مقبل، فهو يعتد جملة المنادى (يا زيد) وظيفة خارجية، أي واقعة خارج إطار الحمل (أخوك مقبل)، وأن هذه الوظيفة، كما الوظائف التداولية الأخرى، مرتبطة بالمقام.[145]

ونشير هنا إلى أن النداء ينتظم ثلاث وظائف هي: (المنادي)، و(المندوب)، و(المستغاث). وأن النحو يرقى إلى الكفاية النمطية التي أشار إليها المتوكل، كلما قلت أنماط الوظائف الفرعية التي تشكّل في محصلتها وظيفة رئيسية كالنداء.

أما حالة المنادى الإعرابية، النصب، فيفسرها المتوكل بأنه أخذها من كونه يحمل وظيفة تداولية، ولا يحمل وظيفة تركيبية، أو دلالية، وهما وظيفتان لا يحملهما إلا المكّون الذي يكون موضوعا من موضوعات محمول الجملة.

إن المنادى منصوب إذا كان مضافا أو شبيها بالمضاف، أو نكرة غير مقصودة، ومبنيٌّ على ما يرفع به إذا كان نكرة مقصودة أو معرفة، وهو منصوب تقديرا، ويُفسرُ نصبه بكونه مفعولا به لفعل محذوف تقديره : أدعو أو أنادي.

نجد أن المتوكل يوافق النحاة العرب القدماء في اعتبارهم الحالة الإعرابية التي يأخذها

145- الوظائف التداولية ص 161.

المكون المنادي هي النصب، سواء تحقق النصب سطحا، أو لم يتحقق، لكنه يخالفهم من جهة اعتبارهم المكون المنادى يأخذ الحالة الإعرابية، النصب، لا بمقتضي تقدير فعل ناصب، بل بمقتضى وظيفته التداولية نفسها طِبْقًا للمبدأ العام المعتمد في إسناد الحالات الإعرابية، كما تنص على ذلك مبادئ النحو الوظيفي.

أما الوظائف الخارجية فيحصرها المتوكل في وظيفتين إحداهما: البؤرة : وسند وظيفتها إلى المكوّن الحامل للمعلومة الأكثر أهمية، أو الأكثر بروزا في الجملة.

وهو يميّز بين نوعين من البؤر:

- **بؤرة المقابلة:**

وهي الوظيفة التي تستند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يتردد المتكلم في ورودها. وقد تستند إلى الحمل برمته، أو إلى أحد مكوناته.

ويتم ذلك بوساطة الهمزة. ومن أمثلة على ذلك: أَحَضَرَ الضيوف؟ أم لا (الإسناد إلى الجملة)، أغدا ألقاك؟ (أم بعد غد) (الاسناد إلى أحد مكونات الجملة). وتحسن الإشارة هنا إلا أن النحاة العرب أشاروا إلى ذلك حين ميّزوا بين استعمال الهمزة لطلب التصوّر واستخدامها لطلب التصديق[146].

- **بؤرة الجديد :**

وتعرف بؤرة الجديد بأنها البؤرة المسندة إلى المكون الحامل للمعلومة التي يجهلها المخاطب (المعلومة التي لا تكون قاسما إخباريا مشتركا بين المتكلم والمخاطب)، وتستند

146- موسى عطا محمد: مناهج الدرس النحوي في القرن العشرين ص 333.

هذه الوظيفة إلى أحد مكونات الجملة، مثل قولنا: عاد زيد من السفر البارحة (لا اليوم). وحدثني عمرو البارحة عن مقالته (لا كتابه).

وقد تتحقق هذه الوظيفة بإسنادها إلى أحد أسماء الاستفهام كقولنا: من زارك البارحة ؟ ماذا شرب زيد؟ متى عدت من السفر؟

وقد تسند هذه الوظيفة إلى الجملة برمتها نحو قولنا: هل حضر الضيوف؟ ومن المتعارف أن (هل) تدخل على (بؤرة الجديد) المسندة إلى الجملة وحسب[147].

- **المحور :**

وهو وظيفة داخلية أسند إلى المحدث عنه داخل الحمل، من ذلك قولنا: متى رجع زيد ؟ ومن قابل زيدا ؟... فزيد، في الجملتين يحتل وظيفة محور، لكن البؤرة هنا تكمن في المكون الذي يمثل محظ استفهام المتكلم، ويشير إليها في السؤالين السابقين المكونان متى، ومن.

وجدير بالذكر أن وظيفة المحور قد تسند إلى أيّ من عناصر الجملة يكون موضع الحديث على ألا يحمل أية وظيفة تداولية أخرى.

ومن الأمثلة على ذلك: رجع البارحة زيد، اللَّحْمُ، الرطل بعشرين درهما، في الدار رجل، الضيوف حضروا (الواو)، زيدا قابلته .

أما الوظائف الدلالية فقد حصرها في الوظائف الآتية: المُنْفِذّ، والمتقبل، والمستقبل، والأداة، والزمان، والمكان.

147- الوظائف التداولية ص 27، 28.

ومن الفوائد التي يستخلصها المتوكل في هذا المجال ما يلي: أن الحالات الإعرابية في اللغة العربية الفصحى ثلاث: حالتان إعرابيتان وظيفيتان، وهما الرفع والنصب، وحالة بنيوية هي الجّر.

كما أن هذه الحالات البنيوية يفسرها بأنَّها تحجب الحالة الإعرابية الوظيفية سواء أكانت وظيفية تركيبية أم دلالية أم تداولية.[148]

وهذا يعني أن المكون المسبوق بحرف جرّ الحامل وظيفة من الوظائف السابقة يكون مجرورًا بغض النظر عن وظيفته. وهذا يفسّر معنى الحجب الوارد هنا.

ويذهب المتوكل إلى أن الحالة الإعرابية التي تقتضيها الوظيفة التركيبية تحجب الحالة الإعرابية التي تخول المكون بمقتضى الوظيفة الدلالية، فإن قلنا : صيم شهر رمضان، فشهر يحمل وظيفة دلالية هي الظرف إلى جانب كونه نائب فاعل، ولكنه يعرب نائب فاعل وحسب بمقتضى وظيفته التركيبية.

يقسم المتوكل الحالات الإعرابية إلى ضربين:

- **أولهما : الحالات الإعرابية اللازمة:** أي الحالات التي لا تتغير بتغير سياقاتها الوظيفية، ولا بتغير سياقاتها البنيوية. ولذلك يمثل لها كما هي داخل المعجم، ويقصد المتوكل بها حالة البناء.

- **وثانيهما : الحالات الإعرابية غير اللازمة:** بها المكونات المعربة[149].

148- أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية النكونية ص 33.

149- أحمد المتوكل: الوظيفة المفعول في اللغة العربية ص 33.

يلاحظ أنه لا يوجد فرق كبير بين النحو الوظيفي والنحو العربي، فهناك حالة بناء، وحالة إعراب.

ويذكر المتوكل أن الحالات الإعرابية التي تم الحديث عنها هي حالات مجردة، وأن العلامات التي تدل عليها تظهر على السطح حينا[150]، لكنها قد لا تظهر حينا آخر. ومعنى ذلك أنّ المتوكل حاول أن يقرّب النحو الوظيفي مما هو سائد في النحو العربي التقليدي.

وينطلق المتوكل من ذلك فيقسم الإعراب، من حيث ظهوره إلى ضربين:

- **أولهما : الإعراب المجرد:** ويقصد بذلك الحالات المجردة من رفع ونصب وجرّ.
- **ثانيهما: الإعراب المتحقق (السطحي):** وهو يشير به إلى العلامة الإعرابية.[151]

تفسير المتوكل لظاهرة التقديم و التأخير في التراث اللغوي :

وصف عبد القاهر الجرجاني لظاهرة التقديم والتأخير في اللغة العربية الذي ينطلق المتوكل منها يقول: " وأعلم أنّ من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره على قسمين، فيجعل مفيدا في بعض الكلام وغير مفيد في بعض، وأن يُعلل تارة بالعناية، وأخرى بأنه توسعه على الشاعر والكاتب، حتى تطرد لهذا قوافيه ولذلك سجعه. ذلك لأنّ من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدلّ تارة ولا يدل أخرى. فمتى ثبت في تقديم المفعول، مثلا، على الفعل في كثير من الكلام، أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة

150- أحمد المتوكل: دراسات في نحو العربية الوظيفي ص 19.

151- الوظيفة المفعول في اللغة العربية ص 34.

مع التأخير، فقد وجب أن تكون تلك القضية في كلّ شيء وكل حال، ومن سبيل من يجعل التقديم سواء، أن يدعي أنه كذلك في عموم الأحوال، فأما أن يجعله بينَ بينْ فيزعم أنه للفائدة في بعضها، وللتصرف في اللفظ من غير معنى في بعض فممّا ينبغي أن يرغب عن القول به " [152].

الملاحظ أن الإمام عبد القاهر الجرجاني يركز بشكل خاص على مبدأ العناية والاهتمام، وهو يفسر ما ذهب إليه بهذا الخصوص بقوله: قال صاحب الكتاب، وهو يذكر الفاعل والمفعول: " كأنهم يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم بشأنه أعنى، وإنّ كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم "[153].

ولم يذكر في ذلك مثالا. وقال النحويون: " إنّ معنى ذلك أنه قد يكون من أغراض الناس في الفعل ما أن يقع بإنسان بعينه ولا يبالون من أوقعه، كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجي يخرج فيعيث في الأرض ويفسد فيكثر منه الأذى، أنهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منه. فإذا قتل، وأراد مريد الإخبار بذلك، فإنه يقدم ذكر الخارجي. فيقول: " قتل الخارجي زيد ". ولا يقول: " قتل زيد الخارجي"، لأنه يعلم من حالهم أن الذي هم متوقعون له ومتطلعون إليه متى يكون وقوع القتل بالخارجي... "[154].

وتعقيبا على رأي الجرجاني يستخلص المتوكل أن للتقديم أيا كان دلالة، وأنّه ليس هناك

152- الجرجاني: دلائل الإعجاز ص 83.

153- دلائل الإعجاز ص 80.

154- دلائل الإعجاز ص 83.

تقديم (مفيد " ذو دلالة ") ، و(تقديم غير مفيد)، وهذا يعني بلغة المتوكل أمرين[155] :

- ترتيب المكونات داخل الجملة محكوم دلاليا (اقرأ: إخباريا).

- ليست هناك قواعد تقديم (نحوية)، وقواعد تقديم (أسلوبية) إذا استثنينا عمليات التقديم التي يقتضيها (الإيقاع) في النصوص الشعرية مثلا.

ويعتبر المتوكل المبدأ الذي ينطلق منه الجرجاني في وصفه، لظاهرة التقديم، سليما في عمومه إلاّ أنّه، مع ذلك، يبقى في حاجة إلى إيضاحين:

1 – بناء على التمييز الذي سبق أن أشرنا إليه بين البنية الدلالية والبنية الإخبارية للجملة، نقول: إنّ التقديم لا يؤثر في البنية الدلالية (بالمعنى الضيق الذي أعطيناه لهذا المفهوم)، وإنما يؤثر في (البنية الإخبارية) للجملة.

فنحن نتبنى مبدأ الجرجاني شريطة أن نفهم العبارتين (مفيد) و(يدل) على أنهما حاملتان لمفهومين (بلاغيين) مرتبطان بعلاقة (المقال) و(المقام)، وأنهما تعنيان بلغتنا " مؤثر في البنية الإخبارية للجملة.

2 – يعلل الجرجاني التقديم انطلاقا من المفهوم العام (العناية والاهتمام)، وهذا المفهوم غير كاف في وصف هذه الظاهرة، إذ يؤدي إلى عدم التمييز– كما نبه لذلك الفاسي الفهري – بين التقديم داخل المجال الذي يلي الفعل والتقديم في المجال الذي يسبق الفعل وإلى الخلط بالتالي، بين جمل ذات خصائص متباينة[156].

155- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ص 72.

156- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ص 73.

ويمثل لهذا لخلط بالجملتين الآتيتين:

- قابل هنداً خالدٌ.
- هنداً قابل خالدٌ.

وفي تحليله للتفسير الذي يُبرّر الجرجاني تقديم المفعول على الفاعل حين يراد الاهتمام والعناية به يلاحظ المتوكل أن المفهوم الذي يمكن أن يقابل مفهوم (الاهتمام) هو مفهوم (البؤرة)، غير أنه عدل على هذا التأويل الآتي، يقول: " يفهم من النص أن (المهتم به): هو ما يتقاسم المتكلم والمخاطب معرفته، ويشكل محط اهتمامهما. هاتان الخاصيتان من مقومات التعريف الذي يعطي في الدرس الحديث للوظيفة التداولية المحور" .

ويستخلص مما سبق أن الموقع الذي يتوسط موقعي الفعل والفاعل، ويرمز بالموقع " س" في البنية الرُتبية " ف، س، فا " موقع غير محايد تداوليا، وأنّ المكون الذي يحتله المكون المفعول أو غيره يحمل وظيفة تداولية، وأن هذه الوظيفة هي الوظيفة " المحور" ؛ وهذا ما ساق له المتوكل أدلة للاحتجاج، قادته إلى استنتاج أن الموقع " س"، في البنية الرتبية " ف، س، فا "، لا يحتله المكون المُبَأَّر سواء كان بؤرة جديد أم كانت بؤرة مقابلة[157].

لقد انطلق المتوكل من رأي الجرجاني، وبيّن جوانب الاتفاق والاختلاف معه، ثم استدل بالملاحظات التي ساقها على أنّ المكوّن الذي يتوسط في اللغة العربية الفصحى، بين الفعل والفاعل، مكوّن يحمل، بالإضافة إلى وظيفته الدلالية "، أو وظيفته الدلالية

157- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ص 77 .

التركيبية " الوظيفة التداولية " المحور".

وعلاوة على هذا الاستدلال يورد عاملا آخر يوجب توسيط مكوِّن ما بين الفعل وفاعله، وهو عامل التعقيد المقولي (categorical complexity)، الذي يلعب دورا في ترتيب المكوِّنات داخل جمل اللغات الطبيعية، فالمكونات الأبسط مقوليا الضمائر، والمركبات الاسمية، تنزع إلى أن تُقَدِّم على المكونات الأعقد مقوليا " المركبات الاسمية المعقدة، (الجُمل)، ويتجلى هذا المبدأ في سُلميَّة من النوع الآتي: ضمير لاصق> ضمير منفصل> مركب اسمي> مركب حرفي> مركب اسمي معقّد> جملة) .

يلحظ أن المتوكل استطاع بتفسيره هذا لرأي أحد العلماء الذين حاولوا بنظريتهم أن يجمعوا بين علم النحو وعلم المعاني في النظرية تسمى نظرية النظم أن يجمع بين التراث النحوي وما ورد عند اللسانيين المحدثين في الاتجاه التفسيري الوظيفي.

فقد أظهرت لنا الأمثلة السابقة " أن المتوكل، في حديثه عن ظاهرة التقديم والتأخير، فقد انطلق من رأي الجرجاني، ثم استدل على صحة بعض ما ذهب إليه هذا النحوي، وبعض ما أخفق فيه، ثم عرض للجوانب التي يمكن أن نتدارك بها تصورات القدماء مستلهما، في ذلك، معطيات النحو الوظيفي، كما هو الشأن بالنسبة لمقولة " التعقيد المقولي"، وبكل ذلك يبني استدلاله على الجمع بين ما هو قديم وما هو حديث "[158].

تكشف لنا التحليلات السابقة عن وجود وجوه الاتفاق، وأخرى الاختلاف بين التعليل في النحو العربي والتفسير الوظيفي؛ فالمتوكل يقبل ببعض المفاهيم النحوية، ويوظفها في

158- حافظ اسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ص 366.

تحليله لمعطيات اللغة العربية وظيفيا، ومن ذلك مفهوم (المبتدأ) و(المنادي)...، غير أن الكيفية التي يوظف بها هذه المفاهيم تجعلها منعزلة عن سياقاتها المرجعية. فالمبتدأ في النحو العربي لا يمكن أن ينفصل عن دلالاته العاملية، وعن الإطار العام الذي وضع فيه النحو العربي. كما أن مفهوم (المنادى) و(الاستغاثة)، و(الندبة) لا يراعى الفروق بين هذه المفاهيم، كما هي مفصلة في كتب النحو" .

أما بخصوص الاختلاف بين التفسير الوظيفي والتعليل النحوي، فإنهّا تهمّ بعض قواعد النحو العربي التي رأى المتوكل أنها في حاجة إلى مرجعية اعتمادًا على معطيات النحو الوظيفي.

ومن بين ما لاحظه بهذا الخصوص رفض النحاة الابتداء بالنكرة، إلا إذا عمّت أو خصّت، لذلك لم يقبلوا بجمل من قبيل: (كتاب عندي)، و(رجل في الدار) غير أن المتوكل يعتبر الجملتين صحيحتين، فهما فاعلان أسندت إليهما (بؤرة مقابلة) كوظيفة تداولية[159].

والواقع أن ما ذهب إليه المتوكل لا يطعن في تفسيرات النحاة، لأن منهجهم في التحليل هو الذي فرض عليهم عدم الخلط ين باب الابتداء وباب الفاعل. ويختلف المتوكل مع النحاة من جهة تحديدهم للمبتدأ في بعض الجمل، فما اعتبره النحاة مبتدأ يعتبره المتوكّل محورا.

ومن جوانب الاختلاف بين التفسير الوظيفي للمتوكل وتعليلات النحاة يمكن أن نشير

159- الوظائف التداولية في اللغة العربية ص 91، 92.

أيضا إلى ما يلي: أخوه مسافر زيد، ساءني زيد سلوكه، قابلت اليوم زيدا بل خالدا.

إن المكونات الاسمية " زيد " و" سلوكه " و" خالد " هي على التوالي مبتدأ، أو بدل ومضرب به غير أن المتوكل يعتبرها على اختلاف خصائصها البنيوية حاملة لوظيفة واحدة هي وظيفة (الذيل)[160].

ومعنى ذلك أنه لا يوجد اختلاف كبير بين تعليلات النحاة والتفسير الوظيفي للمتوكل إلا من جهة تلك المصطلحات الوظيفية، إذ لا فرق بين أن يقول النحاة: هذا فاعل، وذاك مفعول به، وذلك مبتدأ، وأن يقول الوظيفيون: هذا محور، وتلك بؤرة، وذلك ذيل، وهذا لعمري من شأنه أن يزيد النحو صعوبة وتشويشا، ونحن نبتغي تيسير النحو لا أن نزيد الطين بلّةٍ بتنوع هذه المصطلحات إذ " أَنَّ ضبط المعايير اللازمة لإنجاز الكلام في مقام معين أمر عسير نظرا لكثرة المعطيات التي على المرء أن يلمَّ بها في مقام معين، هذا إلى جانب أن هذه المعطيات عرضة للتغيير من حين لآخر، كما أن من الملاحظ على هذا المنحى أن مهمة إسناد الحالات الإعرابية لا تتسم بالوضوح الذي يتسم به النحو العربي التقليدي، إذ يكفي في هذا النحو مجرد تأمل موقع المكون الإعرابي ليحكم المرء على حالته الإعرابية، في حين أن المرء بحاجة إلى معرفة الوظائف المختلفة المسندة إلى المكوِّن، تركيبية كانت، أو دلالية أو تداولية ليتسن له الحكم على حالته الإعرابية. هذا إلى جانب أن النحو الوظيفي قد عطّل مهمة الوظيفة الدلالية في تحديد الحالة الإعرابية عند وجودها إلى جانب وظيفة تركيبية، مع أنّ الدلالة تسهم إلى حد كبير في

160- الوظائف التداولية ص 113.

ذلك، كما يستلزم ذلك أن النحو الوظيفي قد ابتدع وظائف لا تبدو ذات أهمية في بعض الأحيان "[161]. ومهما يكن الأمر فإن مفاهيم التعليل في النحو العربي" تشكل منظومة مرجعية خاصة بالثقافة العربية الإسلامية القديمة، إنها تدخل ضمن نسق فكري وُضع في فترة تاريخية محددة نتيجة عوامل معينة، وقام على أسس فكرية معينة باعتبارها جزءا من بنية ثقافية عامة هي الثقافة العربية بمختلف مكوناتها الحضارية : فكرية، اجتماعية، ودينية، وسياسية ".

لذلك فالمقارنة بين مفهوم التعليل في النحو العربي القديم، وبين مفهوم التفسير في الاتجاه الوظيفي تفتقر إلى الكثير من " مقومات التحليل الابستمولوجي السليم". إذ " أنّ لِكُلّ خصوصيته الإبستيمولوجية وأبعاده الخاصة به فالمفهوم ليس معطى، ولكنه بناء نظري من شبكة تصورية عامة "[162].

161- موسى محمد عطا: مناهج الدرس النحوي ص 364.

162- مصطفى غلفان: النحو العربي واللسانيات أية علاقة. مجلة فكر ونقد العدد 72 المغرب 2005 ص 03.

فهرس المصادر والمراجع:

01- أحمد سليمان ياقوت: الكتاب بين المعيارية والوصفية. دار المعرفة الجامعية. ط1 1980.

02- الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء. تح: أبو الفضل إبراهيم. دار نهضة مصر .

03- حافظ إسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة. دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت ط1 2009

04- بوشتي العطار: النظرية اللغوية عند ابن جنيفي ضوء منهج اللسانيات الحديثة. دار طوبقال الرباط ط2 1987.

05- تمام حسان: تعليم اللغة بين النظرية والتطبيق. مجلة مناهل. وزارة الثقافة الرباط عدد 7-8 1977/1976.

06- حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث. مطبعة الثقافة الدينية القاهرة 1414ه.

07- حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره. مكتبة مصر ط2 1968.

08- حلمي خليل: مقدمة لدراسة اللغة دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1997.

09- حليمة أحمد عمايرة: الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة. دار وائل ط1 2006 الأردن.

10- جعفر دك الباب:نظرية الإمام الجرجاني وموقعها في علم اللغة الحديث. مطبعة الخليل دمشق.ط1 1980.

11- ابن جني أبو الفتح عثمان : الخصائص. تح: محمد علي النجار. المكتبة العلمية .

12- ـــــــــــــــــــــــ: المنصف في شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني. تح: إبراهيم مصطفى. مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة.

13- رمضان عبد التواب: التراث العربي ومناهج المحدثين. مطبعة الخانجي القاهرة 1983.

14- الزبيدي أبو بكر: طبقات النحويين واللغويين.محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف القاهرة 1973.

15- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء. تح: محمود محمد شاكر. دار المعارف القاهرة ط 1952.

16- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب. تح: عبد السلام محمد هارون. دار الجيل بيروت ط 1970.

17- السيرافي أبو سعيد: أخبار النحويين البصريين. تح: الزيني والخفاجي. مطبعة الحلبي القاهرة ط1 1955.

18- السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو. مطبعة السعادة القاهرة 1976.

19- ـــــــــ: المزهر في علوم اللغة وأنواعها.تح: جاد المولى بالاشتراك. دار إحياء الكتب العربية القاهرة.

20- صبحي الصالح: أصول الألسنية عند النحاة العرب. مجلة الفكر العربي ع 8- 9 معهد الإنماء العربي بيروت 1979.

21- طاش كبري زادة: مفتاح السعادة ومصباح السيادة. دار المعارف مصر دت.

22- عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية. الدار العربية للكتاب تونس 1981.

23- عبد الغفار حامد هلال: علم اللغة بين القديم والحديث. ط3 1409ه .

24- عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية. دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1988.

25- الفارابي : إحصاء العلوم.دار الكاتب العربي. القاهرة دت.

26- ابن فارس أحمد بن زكريا: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. تح: أحمد صقر. مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة 1977.

27- كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة. عالم الكتب القاهرة.ط2 1985.

28- كمال بشر: التفكير اللغوي بين القديم والحديث. دار المعارف مصر. ط2 1971.

29- مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط. ط4 2004 .

30- محمد عبد المطلب: النحو بين عبد القاهر وتشومسكي. مجلة فصول المجلد 05 العدد 01 ديسمبر 1984.

31- مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة. جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية سلسلة رسائل وأطروحات رقم 04، 1998.

32- ابن منظور جمال الدين : لسان العرب. الدار المصرية للتأليف والترجمة بولاق

33- ميشال زكريا: الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون. دراسة ألسنية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ط1 1983.

34- ابن النديم: الفهرست. دار المعرفة بيروت دط دت.

35- نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء النظر الحديث. دار البشير الأردن ط2 1985.

فهرس الموضوعات:

ماهية اللسانيات العربية.....01

تعريف اللسانيات العربية.....01

اللسانيات العربية المسوغات القرائية.....03

السبق التاريخي والحضاري للعرب في مجال الدراسات اللغوية.....03

الدين الإسلامي وتأثيره في توجيه اللغويين.....04

عامل الأصول التراثية للسانيات.....04

تحديد المصطلحات اللغوية التراثية.....06

مصطلح العربية أو علم العربية.....06

مصطلح النحو.....09

اللغة أو علم اللغة.....11

مصطلح فقه اللغة.....15

نشأة اللسانيات العربية.....22

الفكر اللساني في التراث.....24

الاتجاه الشمولي في قراءة التراث.....25

اللسانيات العربية والغربية التأثير والتأثر.....27

أصول من اللسانيات البنيوية الوصفية في التراث اللغوي العربي.....27

أصول من اللسانيات التوليدية التحويلية في التراث اللغوي العربي.....37
تقارب النحو العربي والنحو التوليدي في بعض الأصول.....33
تقارب النحو العربي والنحو التوليدي في مستوى المصطلحات.....34
نظرية العامل بين الخليل وتشومسكي.....40
نماذج من علماء علوم اللسان العربية التي قاربت بحوثهم الفكر اللساني الحديث:....43
ابن جني وسطوع نجمه في الدراسات الصوتية.....43
عبد القاهر الجرجاني بين البنيوية والوصفية والتوليدية التحويلية:.....48
الجرجاني واللسانيات البنيوية.....48
الجرجاني التوليدي.....50
التوليد.....50
القدرة:.....50
النحو.....52
التفسير:.....52
البنية العميقة والبنية السطحية.....52
المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية.....55
البحوث اللسانية العربية.....71
الاتجاه التفسيري الوظيفي.....76

المبادئ المنهجية للنحو الوظيفي.....79

مهام اللساني في النحو الوظيفي.....80

قراءة في كتاب " الموجز في شرح دلائل الإعجاز لجعفر دك الباب.....83

قراءة في كتاب "قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية" لأحمد المتوكل.....88

تفسير المتوكل لظاهرة التقديم و التأخير في التراث اللغوي.....96

فهرس المصادر والمراجع.....104

فهرس الموضوعات.....108